المَدرسة الهُمامية بتكريـت

صَرحٌ حَضاريٌ زاهِرٍ يُخَلدهُ مَوقعٌ أثريٌ داثِر



المؤرخ
إبراهيم فاضل الناصري

المدرسة الهمامية بتكريت

صرح حضاري يخلده موقع تـــــراثي

المدرسة الهمامية

بتكريت

صرح حضاري زاهر يخلده موقع

تراثي داثر

المؤرخ

ابراهيم فاضل الناصري

٢٠٢٣م

- اسم الكتاب: المدرسة الهمامية بتكريت
- المؤلف: إبراهيم فاضل الناصري
- الطبعة الاولى للكتاب :
- الناشر: دار الابداع للنشر والتوزيع في تكريت

رقم الايداع : بدار الكتب والوثائق الوطنية ببغداد بـ الرقم(٣٦٦٨)لسنة ٢٠١٨ميلادية

صلاح الدين – تكريت – حي الزهور / ٠٧٧١٠٦٥١٩٦٨ /٠٧٧٠٨٣٦١٩٢٦ ٠٧٨٠٦٣٩١٢٤٩

- alabdae2013@gmail.com

- تصميم الغلاف: الفنان احمد الدنيدل

طبعة جديدة معدلة ومزيدة
بغداد ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى

آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

صدق الله العظيم

القصص/١٤

الى مقامات

(الأسلاف من العلماء

الذين وظّفوا حياتهم منابع عطاء

وفاء وجزل وثناء)

ابراهيم الناصري

(لافتة نظر)

يتحمل مؤرخوا الحقب

أمانة تراثية كبيرة الأهمية

تتجسد بتحري آثارها وبحث أخبارها الوثيقة

لإظهار حقائقها الغائبة ولإحياء معالمها

التي كانت شموس ساطعة في نهارات مدنيتها

والتي تباهت بصيتها المحافل في ماضيها الراحل

وعلى هذا الأساس أضع هذا الكراس

(إبراهيم الناصري)

المحتويات

مدخـــل ١٣

المدرسة معنى وتاريخ ١٥

تكريت وظاهرة المدارس ١٩

التعريف بالمدرسة الهمامية ٢٤

زمان وجود المدرسة ٢٦

منشئ المدرسة ٢٧

شيوخ المدرسة ٢٩

عهد قيام المدرسة ٣٢

الحكام رعاة المدرسة ٣٦

الخلفاء المعاصرون ٤١

الأتابكة المعاصرون للمدرسة ٤٣

العلماء المعاصرون للمدرسة ٤٤

تعيين موقع المدرسة ٥٠

حيوية مكان المدرسة ٥٢

الصروح الملحقة بالمدرسة ٥٣

وصف الموقع الأثري للمدرسة ٥٥

التسمية المحلية لموقع المدرسة ٥٨

التخطيط والبناء للمدرسة ٦٠

تفاصيل الخارطة الأثرية للمدرسة ٦١

المصادر والمراجع ٨٠

(سيرة ذاتية) ٨٣

مدخـــل

إن المـدارس في تـاريـخ تكريـت الرافـل بـالأخبـار انمـا هي من أهم الموضوعات التراثية التي لم تسبك بدراسة وافية ومعمقة.

إذ تدل الاسـتقراءات التاريخية والمعطيات التراثية المترشـحة عن موقع مدينة تكريت التاريخي على حالة الرقي الحضـاري المسـتمر الذي شـهدته، منذ عصر الآشـوريين وحتى عصرنا هذا. ولعل من الصـــور التاريخية المعبرة عن تلك المعطيات والاســـتقراءات هي تلك الشواهد العاكسة لظاهرة قيام المدارس في تاريخها الراحل.

إن الهدف من دراســتي هذه، هو الكشــف عن حالة قيام منشــأة المدرســـة في تكريت الاســـلامية ثم محاولة الكشــف عن هويتها العلمية ليســتدل عليها ويعرف عنها الجيل الحالي والذين ســوف يأتون بعدهم من أبناء تكريت، ولقد تمكنت بفضـل الله تعالى من العثور على معلومات مهمة وجديدة عن هذه المدرســة وان اظهر ملامح هويتها وأخبار من عمل فيها أو أقامها أو من عاصرها.

وإن أهمية الدراســـة هي: أنها تتناول جانبا مهملا من تاريـخ مدينة تكريت، فضلا عن أنها تسهم في الكتابة عن تاريـخ التعليم في بلدنا العراق بشـــكل عام، وفي بلدتنا تكريت بشـــكل خاص، وفي ذات الوقت تستجلي أخبار وآثار وادوار رواد التعليم من سلفنا فيهما.

وأن المعالجة التراثية المسـتخدمة في عملية الانجاز إنما هي (نبش هادف) في بقايا أثر لصرح علمي ذي صـيت، أتوخى فيه تذكرة لنا في حقيقتنا المشرقة التي كان طودها شاخص في عهد كان ثم زال.

وان تسجيلي التاريخي هذا الذي بين ايديكم إنما هو مدوّنة تاريخية موجزة لصرح ديني، علمي وتعليمي قد سجل مؤشرا ثقافيا وفكريا مشرفا في تراث مدينة تكريت الحضاري؛ الثقافي المادي والعلمي.

فارجوا أن أكون بعملي التوثيقي الاستقرائي التراثي هذا قد خدمت تاريخنا المعرفي والعلمي وتراثنا المادي الحضاري المحلي باستظهار واستكشاف ملامح شاخص ثقافي حضاري مهم فيه.

ومسك الكلام هو أن أزجي بشكري وتقديري لكل من أرشدني أو أعانني أو تفاعل معي في انجاز هذه الدراسة التي يشكلها هذا الكتاب من زملاء أعزاء وقبلهم من أساتذة أجلاء يأتي في مقدمتهم الحضرات: الأستاذ الدكتور جابر خليل التكريتي الذي كانت اعماله الاثرية في الموقع أساسا ونبراسا لجهدي هذا فضلا على ملاحظاته التي ازجاها لي من خلال مساجلاتي معه في الهاتف بخصوص الامر. وأيضا العلامة الخططي الأستاذ الدكتور المرحوم عماد عبد السلام رؤوف الذي استنرت بالكثير من طروحاته بهذا الشأن، كذلك زميلي في التوجه الأستاذ المؤرخ عامر حمزة البراك. أيضا نديمي الكتبي الأستاذ باسل علي الناصري.

إبراهيم فاضل الناصري

المدرسة معنى وتاريخ

لعل من نافلة الشروع في هذا المشروع؛ التعريف لمصطلح (المدرسة) بالقول: أن المدرسة إن هي إلا ذلك المظهر العمراني المدني ذو الغايات العقلية الذي ابتكرته ضرورات طلب العلم وإدراك المعرفة والذي فرضته متطلبات ترسيخ الثقافات وتحقيق النهضة والتي قد عاصر امر ابتداعها عهد تفتق ونشوء الحضارة.

وان المدارس (جمع المدرسة) اصطلاحا هي: مواضع نشاط الإدراك والتعلم أي مواضع المذاكرة الجماعية. أو هي الأماكن المنظمة التي يأوي إليها طلاب العلم لنهل المعرفة ونيلها من أهلها المتمكنين وتدر عليهم فيها الأرزاق ويجزل لهم ببعضها العطاء وتتولى التدريس لهم فيها ثلة نابغة، صالحة من العلماء، الأكفاء، المختارين بعناية من الواقفين عليها أو من بناتها وملتزميها من العلماء أو من الامراء أو من التجار أو الدعاة الموسرين من ذوي الاهتمام والعناية بالعلم. كما وإن الدراسة اصطلاحا هي: قراءة العلم ومذاكرته والتفكر فيه، درسه وتبصره وتشريحه وفقه رسالته واستلهام معانيه وهي كذلك التمكن من الأمر المعرفي المراد فهمه ووعيه وفقهه في تدبر وإمعان وتفكر. وان من بين الحضارات الإنسانية التي اولت الاهتمام بمبتكر المدرسة هي الحضارة العربية الإسلامية حيث قد عنت واهتمت بابتداع المدارس التي ارادت بها نشر العقيدة الإسلامية نبراس نهضة دولتها والتي قد تنوعت في مناهجها الدراسية وفي نظمها التعليمية اذ تخصص بعضها في دراسة علوم القرآن وبالأخص الإقراء القرآني وتخصص بعضها في دراسة علوم الحديث النبوي الشريف(علوم السنة) وتخصص بعضها الآخر دراسة الفقه الإسلامي وأفرع شريعته الغراء، حيث ازدهرت الدراسات المعرفية العقلية والنقلية منذ مبتدأ العهد العباسي الثاني او منذ أواسط القرن الخامس الهجري.

فلقد عنت مؤسسة الرسالة الإسلامية السمحاء بالعلم وبسالكي طرقه من العباد، ونال المعنيون بالتعليم من علماء ومتعلمين المكانة والتقدير الكبيرين، كيف لا والله الرشيد الحكيم قد اقسم بـــ(القلم) ثم كيف لا والله العليم الخبير أول ما انزل قوله تعالى: (اقرأ). ولقد اهتم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بالتعليم كثيرا، وأن أحاديثه الحكيمة الشريفة في فضل نهل العلم وفي اجر نشره كثيرة، منها قوله: (إنما بعثت معلما) وأيضا قوله:(من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع).

وعلى أساس ما ذكرنا من معاني ومفاهيم، فقد عنى رعاة المسلمون ومنذ عهد صـــدر دولتهم الفتية بالعلم وبالتعلم وأحدثوا لهما أمكنتهما الخاصـــة والملائمة والمكفولة بالرعاية والمســـبوغة بالعناية من قبلهم. ومن المســـلم به ان تاريخ التعليم في العالم الإســـلامي كان قد ابتدأ مشـــواره التنويري والتعليمي بمنشـــآت المســاجد والجوامع وارتبط ارتباطا وثيقا بها حيث أضحت تلك المســاجد والجوامع المراكز الأول لنشر الثقافة والمعرفة وكانت أول أمكنة تعلم عرفتها تجربة التعليم في حركة الحضـــارة العربية الإســـلامية وهي في مبتدأ ســـفرها وكان يقاســـمها في تلك المهمة: بيوت العلماء، حيث كانوا يســـتقبلون طلبة العلم او نقلة العلم في بيوتهم أو في دكاكين الوراقين العاملين بنســـق .ومن الجدير بالذكر ان نظام التعليم قد اســـتمر على هذه الصـــورة الإيجابية المنتجة التي ذكرنا قرابة الأربعة قرون ونصـــف القرن لم ينشـــأ خلالها مستحدث المدارس بعد إنما كان اعتماد التعلم على منافذ وروافد تلك المرحلة كـــــ: بيت العالم، وكدكان الناسخ فضلا على زاوية الجامع الســـباقة لهما، والحق يقال إن تلك الروافد التعليمية الأولية انما كانت التأهيلية لمرحلة ظهور (المدارس المســـتقلة) وشـيوعها في كل البلدان. ثم تطورت دائرة الحال بعد أن آتى الفكر العربي الإسلامي أكله ونضجت ظروف نقلة المعارف مما هيأ لان ترتقي وتنتقل تجربة التعليم إلى المرحلة الأكثر تخصـصـا وتطورا

والتي تعد المرحلة التكميلية التخصـــصـــية ، حيث تجتذب من تأهل في تلك المنافذ من المرحلة الأولية وتسعى للارتقاء بأفهامهم ومداركهم بعلوم ومعارف أكثر تعقيدا وتشـعبا ثم إن هذه المرحلة التكميلية والمختصـــة بالمؤهلين كان قد أوجبها تطور الدراســـة وتشـــعب التعليم وما رفقهما من دواعي لفصـــل أماكن التعليم وعزلها عن بناية المســـجد أو الجامع والارتقاء بها على بيوت العلماء ودكاكين الوراقين وقد مرت هي كذلك بمراحل آخرها هي مرحلة إحداث المدارس التي عدت صروح تعليمية مجدية حيث تحققت في الحقبة ما بين أواسـط القرن الخامس الهجري وما بين نهايته فكرة إحداث المدارس المسـتقلة وغيرها من الأبنية العلمية الخيرية على ارض الواقع التعليمي بعد أن كانت أحلام تراود عقول الخلفاء العباســيين المتقـدمين في زمن مبكر من تـاريـخ انبثاق دولتهم الزاهرة ولهذا كان أوان ابتداع المدرســـة كوحدة تعليمية مسـتقلة مبتكرة قد آن وكانت هيئة المدارس في الجملة لا تختلف عن هيئات المســـاجـد وبيوت العلمـاء ودكاكين الوراقين وزوايا الشـيوخ في ترجمة العلم والتعلم ورسـالتهما السـامية ولكن بشـكل أرقى وســـائل وأكثر ســـعة وابعد مقاصـــد. وهكذا أدرك العلماء وجوبية نشرـــ تجربة (المدارس) في الأنحـاء منذ أواســـط القرن الخامس الهجري فناضـــلوا في ســـبيل إقامة العديد من المعاهد العلمية والمدارس التعليمية القائمة بذاتها، مســـتقلة عن أبنية الجوامع وكانت تلك المدارس بازدياد مستمر وفي تطور نوعي حتى تاريخ سـقوط بغداد على يد الغازي هولاكو خان. بضـوء ذلك فان مدن ارض الســـواد الكبرى إبان تلك القرون الخوالي كـــــ واســـط والكوفة والبصرـة والموصـل واربيل وسـنجار فضـلا على العاصـمة بغداد دار السـلام وأيضـا مدينة تكريت التاريخية ميدان بحثنا، قد كـانـت قـد عرفـت تجربـة قيـام المـدارس ودور العلم الكبرى والمسـتقلة منذ مبتدأ ابتكارها كمسـتحدث معرفي حضـاري، حيث أخذت هذه المدارس بالقيام والانتشـار والعمل منذ أواسـط القرن

الخامس الهجري. ولقد وثق علميا في تفاصـــيل هذا الأمر الجليل عددا من مؤرخي التراث العربي الاسلامي المحدثين منهم: المرحوم الأســتاذ الدكتور ناجي معروف بإفراده الإشــارات الواضــحة فيه وعنه بعدد من مؤلفاته الفكرية في هذا الخصــوص وان من أهم إشاراته الدالة، هو قولـــــــــه:

(ولقــد رأيــت بعــد أن فرغــت مــن دراســة المــدارس وعلماءهــا في المشرــق الإســلامي أن اذكــر نبــذة يســيرة عــن مــدارس العــراق والجزيــرة الــتي لــم انشرــ عنهــا ولا عــن علمائهــا شــيئا حــتى الآن كالــذي نشرــته عــن مــدارس بغــداد وواســط. وكنــت احســب أنــني ســأقف عــلى عــدد كبــير مــن المــدارس وكــم كــان اســتغرابي شــديدا عنــدما لــم اعــثر إلا عــلى خــبر مقتضــب لمدرســة واحــدة فقــط ومثــل ذلــك أقــول عــن مدينــة تكريــت الــتي عــثرت فيهــا عــلى مدرســة واحــدة أيضــا...وعلى الــرغم مــن طلبــاتي المتكــررة إلى زمــلائي وطــلابي مــن أهــل الكوفــة وتكريــت ممــن أصــبحوا أســاتذة أن يفيــدوني بمعلومــاتهم عــن مــدارس بلدانهم إلا أنني لم اظفر منهم بطائل).



تكريت وظاهرة المدارس

تكريت المدينة التاريخية، الأزلية النشأة والحضارية الارتقاء، التي قامت في دور حضري متقدم من تاريخ التمدن في بلاد الرافدين ثم امتد وجودها الحضري حتى العهد الذي تنشقت فيه برحابة صدر أريج الحضارة العربية الإسلامية، ثم ما اكتفت حتى عدت إبان العهد العباسي حاضرة عربية إسلامية ذات صيت جميل ودور جليل، (واسعة الأرجاء فسيحة الساحة، حافلة بالمساجد والأسواق متنعمة بالخيرات والمبرات) كما جاء عنها في بعض الموارد الإخبارية الوثيقة هي مع نزر الأخبار التي وصلت إلينا عن أمكنة التعليم فيها كانت قد عرفت وامتلكت مثل تلك ، المستحدثات العلمية والمعرفية الحضارية، التي سميت بـ (المدارس). وان أبناؤها العاملين في مجالات المعرفة والتعلم سواء كانوا من المقيمين فيها أو من المقيمين بعيدا عنها طلبا لغاياتهم الشخصية قد أسهموا في تأسيس وإدارة ورعاية عددا من تلك المستحدثات العلمية الحضارية (المدارس أو دور الحديث) ورعايتها بالوقف والعناية كما وأسهم بعضهم الآخر في التدريس أو الإعادة أو الإقامة في بعضها الآخر، خاصة وأن بلدتهم مدينة تكريت الخالدة كانت قد برزت منذ مطلع القرن الخامس الهجري كمركز متميز من مراكز الحركة الفكرية والعلمية العراقية التي أبدعتها حركة الحضارة العربية الإسلامية حيث احتلت مدينة تكريت منزلة متميزة في مضمار هذه الحركة الفاعلة فكانت من أهم

وابــرز مراكــز إخــراج رجــال الحــديث والفقــه والإقــراء والأدب والمنطــق ويظهــر ذلــك واضــحا مــن أســماء مشــايخ الفقهــاء والــرواة وأهــل الإقــراء والمحــدثين ممــن تكلمــت عــنهم كتــب الرجـال ، إذ أنجبـت عـددا كبـيرا مـنهم وجـذبت إليهـا عـددا اكـبر مـن مشـايخ العلـم مـن غـير أبناءهـا فكانـت رحمـا وكانـت مهـدا وكانت حضنا ما حتم قيام دور ومدارس علمية في رحابها.

لقــد أينــع العقــل التكــريتي خــلال ســفره الفكــري والمعــرفي والــذي امتــد قرابــة ثلاثــة قــرون آثــارا بنــاءة كــان لهــا الوقــع الفعــال في حركــة الثقافــة الانســانية كــان منهــا المــدارس ودور العلــم. إذ اتضــح لي بنتيجــة تحريــاتي وتتبعــاتي في مختلــف المضــان التاريخيــة أن اغلــب الــذين كتبــوا عــن تــاريخ وتــراث تكريـت لـم يكونـوا قـد اطلعـوا اطلاعـا وافيـا عـلى جـزء مهـم مـن الــتراث العــربي الإســلامي المكتــوب عنهــا واقصــد بــه كتــب ألاخبـار الـتي عـدت مسـتودعا معلوماتيـا ثـرا ودقيقـا للكثـير مـن الأخبـار عـن المـدن والبلـدات العربيـة او الإسـلامية ومنهـا بلـدة تكريـت وخاصــة عــن اخبــار علماؤهــا ومدارســها وبــالرغم مــن ضــبابية الصــورة المجســدة للمرحلــة المعنيــة ومــن ضــياع العلائــم والــدلائل حــول ذلــك، غــير أن الــنزر اليســير الــذي وصل عنها انما قد اتاح لنا تلمس اثر ومكانة رجال تكريت .

إن الــتراث الخــبري المــوروث فضــلا عــلى الــتراث الثقــافي المـادي قـد أكـد لنـا بالواضـح الجـلي حقيقـة قيـام عـدد مـن هــذه الصرــوح التعليميــة في تكريــت المدينــة التاريخيــة خــلال عصر التمكين الحضاري للامة، وكان منها هذه (المدرسة).

ان مدينة تكريت التي أخرجت فقهاء ومحدثين وقراء غذت بهم الحواضر والأنحاء وكانت متفضلة حضاريا بأن أبناءها فتحوا مدارس هنا وهناك هل كانت تمتلك مدارس ودور علم في داخلها؟ والجواب هو: (نعم) لقد كانت تمتلك مدارس فقه ودور حديث ودور اقراء والدليل يأتي بوجهين:

الوجه الأول: هو ماورد من أخبار تفصح أو تلمح في ذلك فمثلا في ترجمة الفقيه والحافظ القاضي يحيى بن القاسم يجيء القول: (ثم عاد إلى بلده تكريت وتولى بها القضاء والتدريس). وفي ترجمة الفقيه المحدث عبد الله بن سويدة التكريتي المتوفى عام ٥٨٤هـ يجيء الكلام يقول: (سمع ببلده ابا الحسن علي وأبا شاكر الفقير ... وسمع منه خلق من أهل تكريت وممن وردها من البلدان الاخرى). وفي ترجمة الإمام المحدث زكي الدين البرزالي المتوفى في عام ٦٣٦ هجري يجيء الكلام ليقول عنه: (انه رحل إلى تكريت فسمع الحديث من علماءها). وفي ترجمات العلماء: فخر الدين ابن العكبري المتوفى ٥٩٣هـ والشيخ عبد الرحمن بن محمد البخاري المتوفى ٢٨١هـ والحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني المتوفى ٥٦٢هـ والحافظ ابن الدبيثي المتوفى ٦٣٧هـ ومحمد اللارجاني المتوفى ٦٠٥هـ يرد بأنهم رحلوا إلى تكريت (وفدوا) وسمعوا فيها من علماءها. مما يعني انه كانت في مدينة تكريت أماكن مختصة بالسماع وهي مفتوحة للتداول وللأخذ وللعطاء.

أما الوجه الثاني: وهو الأهم فإنما يجسده الذكر الواضح الجلي لبعض من تلك المدارس التي أنشأت في تكريت في

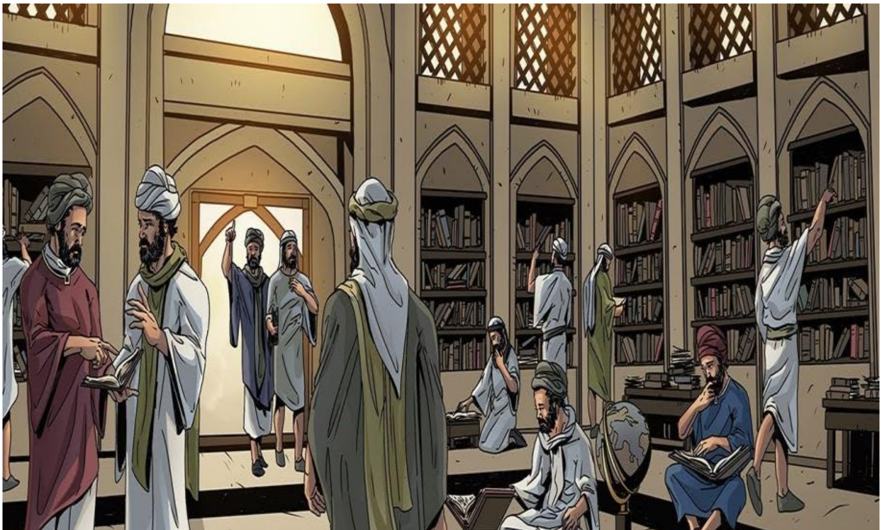
كتب أخبار الرجال ولعل ذلك قد تم ضمن خضم المد العلمي الذي عرفته المدن العربية الإسلامية إبان عصر إرهاصات اشراقة الامة الحضارية فلقد قام علماء تكريت الفخام وميسوريها من المهتمين بالعلم بإنشاء ورعاية المدارس التي عدت في وقتها ظاهرة حضارية جديدة ومبتكرات علمية محدثة ولقد تم لي التعرف على عددا من تلك المدارس التي قامت في مدينة تكريت التي كانت رحما لولادة خيرة العلماء من الذين أينع قطافهم في حواضر عراقية وعربية وكان من بينها (المدرسة الهمامية).

إن مما ساعد على تحقق كون مدينة تكريت مركز علم ومنصة تعلم هو الوظيفة التي عرفها أهلها واقصد بها وظيفة أو مهنة التجارة إذ كان لهذه الوظيفة الدور المهم في الاتصال الاطلاع والتعرف والتواصل والتأثر والتأثير لما تستند عليه من مسلمة التنقل والاتصال ولعل الذي أهّل هذه الوظيفة لتكون عامل مساعد في بوتقة العطاء الفكري للتكارتة هو الوسيلة التي تعتمدها هذه الوظيفة واقصد فيها وظيفة الرحلة في طلب العلم فالرحلة في طلب العلم انما لها الأثر الكبير في التعرف والاطلاع والتأثر مثلما لها الأثر الكبير في التعريف والتأثير والعطاء والنقل والتطوير.

لقد كان لأبناء تكريت أثر ودور في بناء الحركة العلمية ولكن علينا القول إن الدور المذكور لأبناء تكريت لم يكتفي في النقل والتقويم والنشر بل تعداه إلى الإسهام في البناء والتأسيس والتطوير للمراكز العلمية والتربوية والفكرية التي

تخــرج وتؤهــل نقلــة العلــم فلقــد جــاءت الأخبــار في مــوارد التراث العربي بذكر أسماء لعلماء تكارتة قد كانت لهم أدوار.

وأن الــذي ســاعد عــلى ذلــك الاســتقرار وعــلى ذلــك الأمــان اللتــان باتــت تمتلكهمــا المنطقــة الــتي قامــت فيهــا بلــدة تكريــت. فلقــد كانــت عــلى وصــف أحــد الجغــرافيين: انهــا منطقــة مســتقرة يســير الحــاج فيهــا بانتظــام آمــن مطمــئن. كمــا ومممــا ســاعد هــو طبيعــة الفــرد التكــريتي وخصائصــه الفرديــة، إذ انــه مــن النوعيــة (الطينــة) ذات الطبيعــة المؤهلــة لتحمــل المســؤولية والنجــاح في مهمــة النضــح والبــذل والعطــاء ولعــل الــذي جعــل هــذه الشخصــية تكــون بهكــذا طبيعــة هي الحاجــة الإنســانية الــتي قــد احتوتهــا طبيعتــه الاجتماعيــة والــتي جعلــت منه رجل أسفار تجارية وطالب رحلة تفكر وتبصر واطلاع.



التعريف بالمدرسة الهمامية

كانت المدارس خلال مزدهر الحضارة العربية الإسلامية تعد بمثابة كليات جامعة أو معاهد عالية بحسب مفهوم الجامعات اليوم لمعارف وعلوم الرسالة الإسلامية كعلم فقه الشريعة الاسلامية وعلوم السنة النبوية وعلوم الحديث النبوي الشريف وعلم الإقراء القرآني.

وبهذا الكتاب سوف يكون الكلام عن واحدة من تلك المنشآت العلمية أو المراكز التعليمية الحضارية التي احتضنتها مدينة تكريت إبان حقبة مهمة من سفر تاريخ الدولة الإسلامية في عصرها العباسي الزاهر.

انه الكلام عن الصرح العلمي التعليمي المهيب أو الطود العمراني الشامخ الوارد ذكره تاريخيا بسمة: (المدرسة الهمامية) والذي هو ثالث صرح علمي تعليمي أقف على خبره في تراث تكريت الثقافي المسطور وعلى أثره في تراث تكريت الثقافي المادي، وعندما أقول (ثالث) فلكون قد سبقته في القيام بتكريت: مدرسة المشهد (واقصد به مشهد الخضر) ودار الحديث الفتوحية (نسبة إلى بانيها وراعيها الفقيه والقاضي ايحيى بن أبو الفتوح التكريتي).

وانه التصريح الثقافي عن المنجز التراثي الذي وقفت عليه بعد أن عمي موقعه عن نظر جميع الباحثين والمختصين في مجالات التاريخ والآثار والتراث لبلدة تكريت العتيقة.

إن المدرسة الهمامية موضوعة هذا الكتاب: هي من مفاخر الحضارة العربية الإسلامية وهي في أوج ألقها. ولقد قامت في مدينة تكريت العتيقة خلال عهد تشمخها كحاضرة عربية إسلامية تضوع بالحيوية والعطاء. وهي في رسالتها العلمية السامية عدت من المدارس الدينية العليا المجانية التي تعتمد المذهب الشافعي في دراسة الفقه وعلوم الحديث والإقراء ولقد جاءت تسميتها هذه نسبة إلى اسم منشئها وراعيها الأمير همام الدين تبر بن علي بن شعيب.

وان المدرسة الهمامية التي هي موضوعة كتابي هذا اننما هي من بين أهم مدارس الحضارة العربية الإسلامية. حيث أنها قامت وأدت عطاؤها العقلي والنقلي في عصرها الحضاري المشرق (العصر العباسي) وتحديدا في حقبة نهوض وإبداع مهمة منه، وهي الحقبة (الاتابكية) والتي انما تعد من أهم مراحل العهد السلجوقي في المشرق الإسلامي.

وقد كانت المدرسة الهمامية هذه بحق من بين جملة المنشآت العلمية والتعليمية التي احتضنتها تكريت والتي اسهمت في اعداد واخراج ثلل من العلماء والعالمات الذين حملوا لقب التكريتي والذين صارت تباهى بهم في الافاق.

زمان وجود المدرسة

الزمـــان هـــو في أصـــله، الوقـــت المـــلازم للحـــدث أو الفعـــل بحســـاب الأيـــام أو الســـنين، وذلـــك أنّ الحـــدث، لا بـــدّ لـــه أن يجـــري في دائـــرة الوقـــت، ولا فعـــل ولا حـــدث يتحقّـــق خـــارج هـــذا النطـــاق. وبضـــوء ذلـــك فلقـــد كـــان للمدرســـة الهماميـــة في تكريـــت زمـــان وجـــود ضـــمن العصرـ الاشـــمل الـــذي تنـــتمي لـــه وأعني به عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة، العهد العباسي.

فلقـــد زامنـــت هـــذه المنشـــأة التعليميـــة الدينيـــة المبتدعـــة بـــ عمرهـــا العلـــمي التعلـــيمي، عهـــود ثلاثـــة مـــن خلفـــاء الدولـــة العباســـية في عهـــدها الحضـــاري الثـــاني، كمـــا وعـــاصرت قيـــام الدولـــة الأيوبيـــة في مصرـ والشـــام في عـــام ٥٦٤هجـــري، وكـــذلك عـــاصرت عهـــد الكفـــاح الإســـلامي ضـــد حمـــلات الفرنجـــة الأوربيـــين، فضـــلا عـــلى مزامنـــة عهـــدها لحـــدوث معركـــة حطـــين الفاصلة ضد الغزاة الصليبيين من الفرنجة والاوربيين.

إن زمـــان قيـــام هـــذه المدرســـة العاليـــة بحســـاب التقـــويم الزمـــاني انمـــا هـــو بالتحديـــد في النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن الســـادس الهجـــري / الموافـــق للنصـــف الثـــاني للقـــرن الثـــاني عشرـــ المـــيلادي، وتحديـــدا مـــن ســـنة ٥٦٣هـ الى مـــا بعـــد ســـنة ٥٨٤هـ. وهـــو زمـــن حافـــل بالإبـــداعات ومغـــدق بالإنجـــازات مثلما هو زمن زاهر بالمدارس ومعاهد العلم ودور العلم.

منشئ المدرسة

كانت تكريت قبل سنة ٥٦٣هـجرية إقطاعا تابعا للاتابك الزنكي زين الدين علي الملقب بـ (كجك) صاحب الموصل ووالد الملك مظفر الدين كوك بوري، زوج اخت السلطان صلاح الدين الايوبي، بيد انه في هذه السنة حصل انه زين الدين علي كان قد تنازل عن حكم الموصل وتوابعها ومنها بلدة تكريت لقطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي الأمر الذي جعله يسلم تكريت بصفتها احدى توابع الموصل لأحد نوابه عليها والذي كان قبلها يتولى قلعتها له أي ينوب عنه فيها، ويدعى الأمير همام الدين تبر بن علي بن شعيب التكريتي الذي آلت مدينة تكريت له وفق هذا إقطاعا اتابكيا ينتمي لسلطان البيت الزنكي في شمال وشرق الدولة.

فكان الأمير همام الدين تبر بن علي بن شعيب التكريتي هذا في أول أمره مملوكا تابعا للأمير زين الدين كجك وسيفا من سيوفه غير إن زين الدين كان قد قدمه في دولته وأسس له مكانة عالية إذ جعله في بداية الأمر متوليا عنه لقلعة العمادية الخاضعة له ثم حوله إلى بلدة تكريت ليتولى قلعتها بالنيابة عنه. ثم واتت الفرص وحالفت الحظوظ الأمير (همام الدين تبر) بان يستحوذ على كل تكريت وليس فقط على قلعتها بعدما ترك زين الدين مملكته بتوابعها متنازلا عنها للامير قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي.

وهكذا قدر للأمير همام الدين تبر التكريتي لان يكون صاحب تكريت ومتولي أمرها مدة أربعة عشر سنة أي منذ

٥٦٣ ولغاية ٥٧٧هجرية حيث انه توفى في العاشر من ذي الحجة من سنة ٥٧هـ وهو في المزدلفة بمكة أثناء تأديته لفريضة الحج، فدفن بالمعلى وهي مقبرة في مكة. والأمير الجليل القدر والعتيد الامر همام الدين تبر (طبر) هذا هو بالأصل سلجوقي الأرومة لكنه من مواليد مدينة حمص الشام واسمه الكامل هو همام الدين تبر أو طبر بن علي بن عبد الملك بن شعيب التكريتي الحمصي.

لقد كانت من أشرف وأهم الانجازات الحضارية التي سطّرها الامير همام الدين تبر التكريتي في بلدة تكريت بعد تسنمه حكمها كبلدة وحكم قلعتها في العام ٥٦٣هجري هي إنشائه ورعايته لمدرسة دينية حملت اسمه (المدرسة الهمامية).

وبعد وفاة الأمير همام الدين تولى حكم بلدة تكريت ابن أخوه وزوج ابنته المدعو فخر الدين أبو المكارم عيسى بن مودود بن علي وهو الذي كان قد استخلفه على الحكم لما ذهب للحج فمات باثناءه. اذ اهتم الأمير أبو المكارم فخر الدين عيسى في هذه المدرسة وبقي يرعاها ويعنى بأمورها منذ توليه حكم بلدة تكريت وقلعتها في السنة٥٧٧هجرية وحتى السنة٥٨٤ هجرية حيث كانت وفاته غدرا، ولقد قدر له أن يكون مدفنه في غرفة بها، تأخذ ركنها الجنوبي الغربي.

شيوخ المدرسة

صراحة لم يرد او ياتي ذكر لأي من أسماء شيوخ هذه المدرسة التكريتية بشكل واضح وجلي في كتاب معين ما من كتب التراث التي تطرقت او اشارت الى ذكر ها الا إنه:

اولا. المتمعن في تراجم رجال اسرة آل مودود التي عميدها الأمير همام الدين، مؤسس هذه المدرسة، سيظهر له أنهم قد تتلمذوا واخذوا وقرئوا العلم جميعا على يد القاضي الشيخ تاج الدين يحيى بن القاسم التكريتي، فقد نقل ابن الفوطي في كتابه تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب عن كتاب الاختصاص في التاريخ الخاص لتاج الدين يحيى كيف إن فخر الدين عيسى- بن مودود ابن أخ همام الدين وزوج ابنته ونائبه ثم خليفته في حكم قلعة تكريت وولاية تكريت قد قرأ على القاضي الشيخ تاج الدين يحيى بن القاسم وكذلك كان حال الأخ الياس بن مودود الذي تولى حكم تكريت بعد أخيه فخر الدين عيسى- أبو المكارم، الأمر الذي يعني أن قراءاتهم تلك التي تمت على يد الشيخ تاج الدين يحيى لا تعدوا ان تكون قد جرت في المدرسة الهمامية التي هي مدرستهم التي ورثوا وقفها عن عمهم همام الدين وهذا سيشير ويرجح ان تكون المدرسة الهمامية قد ولي التدريس فيها هو القاضي الشيخ تاج الدين يحيى إبان وجودها في ظل المذكورين وخلال وجود القاضي بتكريت وفي حياته وانه لن يعدوا إلا أن يكون متولي النظر فيها وكبير شيوخها خاصة وان الأخبار عنه قد بينت كيف

كونـه قـد عـاد إلى بلـده تكريـت بعـد رحلـة تـزود بـالعلم، وتـولى بهـاء القضـاء والتـدريس مـدة. ولقـد تـزامن هـذا مـع حقبـة وجـود المدرسـة ومـع زمـان تلـقي نائـب مؤسسـها وخليفتـه للعلـم عـلى يديـه ثـم إن الأخبـار الـتي ذكرتهـا المصـادر عـن الـذي تولـوا الحكـم بعـد فخـر الـدين تنـبئ بـان المدرسـة قـد اسـتمرت في وظيفتهـا العلميـة، وان الشـيخ تـاج الـدين لـم يـزل عـلى التـدريس فيهـا وتـولي مشـيختها مـدة بقـاءه في تكريـت يعاونه ثلة من المشايخ من أبناء أسرته العلمية الصيت.

<u>ثانيـا</u>. المـتفحص لـتراجم وسـير علمـاء تكريـت ومشـايخها مـن الـذين انتـدبوا أو الـذين تصـدوا للتـدريس في مـدارس زمـانهم هنـا او هنـاك والـذين كـانوا عـاصروا نشـاط هـذه المدرسـة التعلـيمي وعطاؤهـا العلـمي في تكريـت أو كـان قـد وافـق وجـودهم في بلـدتهم تكريـت والمدرسـة كانـت تـؤدي رسـالتها العلميـة التعليميـة سـيؤشر بعـض الأسـماء كونهـا بـلا شـك قـد تولت التدريس او الإعادة في هذه المدرسة ولعل منهم:

١.الشـيخ الفقيـه والقـاضي علـم الـدين أبـو النجيـب عبـد الـرحمن بـن احمـد بـن المفـرج، الـذي كـان قـد انتـدب للتـدريس في مدرسـة في مـاردين ثـم مـا فـتئ في آخـر عمـره المـزامن لقيـام المدرسـة ان عـاد إلى بلدتـه تكريـت وتـولى فيهـا القضـاء والتـدريس معـا. بمعـنى انـه كـان قـاضي تكريـت إبـان وجـود هـذه المدرسـة ممـا يشـير او يـدلل وبمـا لا يقبـل الشـك عـلى انـه قـد كان أحد شيوخ هذه المدرسة او كان واحدا من علماءها.

٢.الشـيخ المجـد والعـالم المجتهـد جمـال الـدين احمـد بـن المفـرج بـن درع التكـريتي: وهـو عـم القـاضي تـاج الـدين ابي زكريـا يحـيى بـن القاسـم. والـذي ولـد في تكريـت في سـنة ٤٨٨هـ، وعنـدما كـبر سـمع مـن أبي شـاكر محمـد بـن سـعد بـن خلـف التكـريتي. ثـم قـدم إلى بغـداد فأقـام في ربـاط الـزوزني فسـمع واسـمع. ثـم عـاد إلى بلدتـه تكريـت وحـدّث فيهـا، ثـم كانت وفاته فيها في ليلة عيد الفطر من سنة ٥٨٣هجرية.

٣.الشـيخ الفقيـه شـهاب الـدين عمـر بـن القاسـم بـن المفـرج التكـريتي خطيـب تكريـت وقاضـيها وهـو أخـو القـاضي تـاج الـدين يحـيى بـن القاسـم. تـولى الخطابـة في مسـجد تكريـت وأقـرأ القـرآن فيـه. قـرأ عليـه ابنـه عبـد الله وآخـرين. ولـه منظومـة في العقيـدة. قـال عنـه الـذهبي انـه: إمـام مفـت، حسـن النظـر. ذكـر في قلائـد الجمـان وورد عنـه انـه كانـت وفاته في سنة ٢٢هجرية عن اثنين وثمانين سنة من العمر.

٤. الشـيخ الفقيـه والاديـب الوجيـه عمـر بـن عبـد الله بـن المفـرج الـربعي التكـريتي، الـذي جـاءت الاخبـار تفصـح عنـه بانـه بعـد عودتـه مـن مـاردين الى بلدتـه قـد اضـحى يلـقي الـدروس في الفقـه وفي علـم الحـديث كمـا وصـار يسـمع عليـه العلم جمهور الوافدين الى بلدة تكريت من علماء الانحاء.

عهد قيام المدرسة

كـان العهـد الـذي تنـتمي إليـه هـذه المدرسـة هـو العهـد السـلجوقي بـدون شـك والـذي هـو نسـبة إلى السـلاجقة الـذين هـم فـرع مـن قبائـل الغـز التركيـة، وكـانوا قـد انسـابوا حـوالي عـام٣٤٥هجـري مـن سـهول تركسـتان نحـو الأرجـاء الشرـقية للدولـة الإسـلامية واعتنقـوا الإسـلام بقـوة ثـم نفلـوا في خدمتـه وتمكينـه والـذود عنـه في تلـك الأرجـاء ولقـد سـموا بالسـلاجقة نسـبة إلى جـدهم الأعـلى سـلجوق شـاه. وقـد نجحـوا في إقامـة نفـوذ سـياسي وعسـكري خـاص بعهـم ضـمن الإقلـيم الجغـرافي الـذي حـواهم سرعـان مـا مكـنهم مـن الـتحكم في مقـدرات أطـراف مهمـة مـن حيـاض الدولـة الإسـلامية كـان منهـا العـراق الـذي أصـبح تحـت حكمهـم ونفـوذهم منـذ منتصـف القـرن الخـامس الهجـري ثـم مـا فـتئ إن صـار في السـنة ٥١٣ هجريـة كيانـا سـلجوقيا خالصـا أقـاموا فيـه دولـتهم الـتي عكسـت طـابعهم وحملـت اسـمهم (الدولـة السـلجوقية في العـراق) وهي بمثابـة دولـة صـغيرة حاكمـة داخـل الدولـة الأكـبر والـتي هي الدولة العربية الإسلامية التي تكشل العهد العباسي.

ومـن مظـاهر الحكـم السـلجوقي في الشرـق الإسـلامي عامـة وفي العـراق والشـام خاصـة إبـان العصرـ العبـاسي الثـاني، ظهـور نظـام الاتابكيـة الـتي هي إمـارة نفـوذ يقطعهـا السـلطان السـلجوقي لأحـد خواصـه المقـربين لـه او مـن القـادة والامـراء ممـن يتقلـدون المناصـب العليـا. والنظـام الاتـابكي هـو في حقيقـة الأمـر نتيجـة حتميـة للسياسـة الـتي اتبعهـا السـلاجقة

في النظـام الإقطـاعي والـذي هـو الأسـاس الـذي قامـت عليـه (الملكيـــة) في عهــدهم ولقــد انتشرــت هــذه الاتابكيــات (الإقطاعيات) في المشرق الإسلامي منذ سنة ٤٨٥هجرية.

وان مـن أشـهر الاتابكيـات هي اتابكيـة الموصـل الـتي كـان لهـا الأثـر الفاعـل والكبـير في مناهضـة الصـليبيين ومؤسـس هـذه الاتابكيـة هـو الامـير عمـاد الـدين زنـكي اقسـنقر وهـو في الأصـل مـن المماليـك الأتـراك تـربى برعايـة السـلطان السـلجوقي ملكشـاه ثـم عنـدما بلـغ أثـره وعظـم دوره قربـه إليـه وقلـده السـلطان المناصـب الرفيعـة ثـم اقطعـه مـدن حلـب واللاذقيـة وحمـاه ومنـبج إضـافة إلى تكريـت الـتي ضـمها إلى ممتلكاتـه بعـد وفـاة السـلطان ملكشـاه ثـم انـه في سـنة ٥٤٤هجريـة قـام زيـن الـدين بـن بكتكـين وهـو احـد قـواد الأتـراك المـؤتمرين تحـت إمـرة الاتابـك عمـاد الـدين زنـكي بإعـادة ضـم تكريـت وعـدد مـن المـدن الاخـرى كسـنجار واربيـل إلى نفـوذه في اتابكيـة الموصـل الـتي تولاهـا في العـام ٥٣٩هجـري نيابـة عـن الأمـير الغـازي عمـاد الـدين زنـكي، ولقـد جـاء ذلـك الضـم مـن الأمـير زيـن الـدين عـلي بأعقـاب مقتـل الأتابـك عمـاد الـدين زنكي وقيام شحنة بغداد بسلخها عن اتابكية الموصل.

كانـت بلـدة تكريـت إبـان العهـد السـلجوقي إقطاعـا إداريـا واقتصـاديا مهمـا وغنيـا يتنقـل في التبعيـة بـين امـراء السـلاجقة في العـراق فمـرة تـؤول لهـذا ومـرة تـؤول لـذاك. ولقـد كانـت عـلى هكـذا حـال ابتـداء مـن عـام ٤٨٥هجـري حينمـا ضـمها الاتابـك اقسـنقر مملـوك السـلطان السـلجوقي ملكشـاه إلى أملاكـه.

وقــد كــان ذلــك الحــال بعــد وفــاة الســلطان ملكشــاه وتنــازع أولاده على ملك الاقطاعات من بعده ومنها اقطاع تكريت.

ولقــد كانــت للســلاطين الســلاجقة ووزرائهــم عنايــة كبــيرة واهتمــام بــادع بــالعلم وبنشره ولقــد شــاع ذلــك عــنهم بشــكل ملفــت للنظــر فرعــوا وعنــوا في دور العلــم ومراكــز المعرفــة والفكــر وافــردوا لهــا العطايــا وقــدروا وقربــوا الشــيوخ العلمــاء وأسبغوا لهم كل الاهتمام ومنحوهم المكانة اللائقة بهم.

وهكــذا صــار ت لدولــة لســلاجقة شــواخص حضريــة ومعــالم عمرانيــة علميــة حضــارية في المــدن والحــواضر الــتي حكموهــا او الــتي باتــت خاضــعة لنفــوذهم ومنهــا المــدن العراقيــة، قــام بتشــييدها ورعايتهــا ســلاطينهم ووزرائهــم وامــرائهم. ولعــل مــن ابــرز هــذه الشــواخص والمعــالم هي المــدارس والــربط ودور العلــم، إذ أنهــم قــاموا بمجهــودات متواصــلة لــترويج العلــوم والمعــارف ونشر الثقافــة الدينيــة والمدنيــة بواســطتها ومــن الجــدير بــذكره ان هــذه الأعمــال كانــت الأس المــادي لبدايــة عصر المدرســة وان مــن أهــم الأســباب الــتي دعــت الســلاجقة إلى تأســيس المــدارس ودور الــتعلم هي حاجــة الدولــة إلى القضــاة والكتــاب والعمــال فضــلا إلى حاجــة المجتمــع الإســلامي إلى توحيــد للمعتقــد فلــيس هنــاك مــن شــك انــه لا طريــق اضــمن لتحقيــق الغايــة مــع ضــمان توحيــد المعتقــد والنهج الإسلامي غير إنشاء المدارس والمراكز الفكرية.

وهكــذا تتبــارى عقــول وســواعد الامــراء والــوزراء الســلاجقة كنظــام الملــك الــذي يعــد أول مــن أســس المــدارس في العــراق

السلجوقي في إنشاء ورعاية المدارس ومراكز التعلم ومنابر الفكر التي تحقق الغايات المرجوة من مشروعهم العقيدي.

ولقد كانت من بين المدن التي عرفت قيام مبتكر المدارس هي مدينة تكريت الجزرية التي كانت تعد في وقتها تعد (دز دارية) أي (مستحفظة) خاضعة لاتابكية سلجوقية يحكم قلعتها دزدار أي مستحفظ تابع لاتابك الموصل. وكانت ذات صيت وأهمية حيث نشأت فيها مدارس في هذا العهد المعطاء منها (المدرسة الهمامية) التي أكد قيامها بتكريت في منتصف القرن السادس الهجري المؤرخ كمال الدين ابن الفوطي ت ٧٢٣هـ. عندما أشار عليها صراحة في مصنفه الضخم (مجمع الاداب في معجم الألقاب).



الحكام رعاة المدرسة

تعـد المدرسـة الهماميـة موضـوع كتابنـا هـذا مـن المـدارس العلميـة (العموميـة) الـتي قامـت في بلـد تكريـت الحـاضرة العربيـة والإسـلامية الشـهيرة وذات الأهميـة، بمعـنى أنهـا لـم تكـن مـن المـدارس الخاصـة بعـالم معـين أو علـم معـين حيث ان الـذين قـاموا ببنائهـا والـذين بـاتوا يتكفلونهـا بالرعايـة والوقـف هـم امـراء تكريـت ومسـتحفظي قلعتهـا في الثلـث الأخير من القرن السادس الهجري على التوالي وهم:

__الأمير همام الدين التكريتي__: تبر بن علي بن عبد الملك بن شعيب الحموي التكريتي. باني المدرسة ومؤسسها وواقف الوقوف عليها وراعيها وهو من أتراك الشام من أهل حمص. وكان أول أمره مملوكا للسلطان زين الدين علي بن بكتكين المعروف بـ كجك فلما رأى منه همة عالية ولاه قلعة العمادية نائبا له عليها ثم نقله الى بلدة تكريت نائبا له عليها ودزدارا لـ قلعتها أي مستحفظ. فلما كبر زين الدين هذا وأراد الاعتزال والانتقال إلى اربل للتعبد سلم البلاد التي كانت في عهدته إلى الاتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل. وكانت بلدة تكريت من ضمنها فتحول ولاء الأمير همام الدين للاسرة الزنكية منذ ذلك الحدث ولقد ترتب عليه أن يكون نائبا لهم على تكريت وحاكما لقلعتها ولم يزل بتكريت إلى أن توفي في عاشر من ذي الحجة سنة ٥٧٧ هجرية وهو بالمزدلفة حيث كان قد

رحل الى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج مستخلفا على حكم تكريت ابن أخيه وزوج ابنته الامير فخر الدين عيسى.

__الأمير فخر الدين أبو المكارم__: أبو المنصور عيسى بن مودود بن علي بن عبد الملك بن شعيب، ابن أخ مؤسس المدرسة، الامير همام الدين تبر بن علي بن عبد الملك بن شعيب التكريتي. ولد في حماة الشام ومات في تكريت العراق ، قال عنه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب: (ذكره القاضي تاج الدين يحيى بن القاسم التكريتي في تاريخه في ذكر من قرأ عليه وذكر ولده شمس الدين خاصبك)، ثم أردف بالقول عنه : (وكان عمه همام الدين تبر بن علي أمير تكريت لما عزم على الحج وقد ولاه أمرها سنة ست وسبعين وخمسمائة فسار في الرعية السيرة المرضية وكان كريما سمحا لم يدخر لنفسه شيئا سوى الثناء والذكر الجميل وقد نظم ارجوزة في الاعتقاد، وله أشعار ولم يزل على ولايته إلى أن توفى في ذي القعدة سنة أربع وثمانين خمسمائة ودفن بالمدرسة الهمامية). وجاء عنه في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان: (أبو المنصور عيسى بن مودود.. فخر الدين صاحب تكريت هو من ... الشام وكانت فيه فضائل وله ديوان شعر ورسائل ودوبيت... وله في النظم والنثر شيء كثير ولطيف... ومولده في مدينة حماة، قتله إخوته سنة أربع وثمانين وخمسمائة في قلعة تكريت). وأما عن ظروف مجيئه إلى تكريت وتوليه الحكم، فقد ذكر بانه جاء هو وإخوته مع عمهم همام الدين إلى تكريت ولم يكن لهمام الدين ولدا يتولى العمل معه أو

يخلفه سوى بنت فتزوجها فخر الدين عيسى وكان ينوب عنه في حكمه وفي عمله. ولما عزم همام الدين على الحج ولاه أمر تكريت ومصالحها ومن القلعة سنة ٥٧٦هـ، حتى إذا توفى همام الدين في السنة ٥٧٧هـ وهو يحج، ملك لامير فخر الدين عيسى تكريت ومصالحها ومنها المدرسة الهمامية من بعده... ولقد توفى في قلعة تكريت في سنة ٥٨٤هـ ثم نقل رفاته ودفن في المدرسة الهمامية فيها.

__الأمير المنصور التكريتي__: الامير شمس الدين خاصبك ابن الأمير فخر الدين عيسى، الذي قال عنه ابن الفوطي في كتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: (أن القاضي تاج الدين يحيى التكريتي قد ذكره في تاريخه بصفته ممن قرءوا عليه). الأمر الذي يعني انه قد كان من الامراء العلماء الذين لم تصلنا أخبارهم العلمية أو تواريخهم بدقة. غير أنني ومن خلال استقراء الخارطة الأثرية لتكريت يمكن لي أن أعيّن التربة التي تعلوها تلك القبة المحاذية لتل محيسن والتي تتسمى بقبة (سيد منصور) بأن تكون هي مدفنه كونها على مقربة من مدفن والده الامير فخر الدين عيسى بن مودود الذي ورد عنه بانه دفن في الهمامية.

__الأمير علاء الدين أبو المظفر__: واسمه الياس بن مودود بن علي بن عبد الملك بن شعيب التكريتي، قرأ على الشيخ تاج الدين يحيى. تسلم تكريت وملك قلعتها بعد مقتل حاكمها فخر الدين عيسى الذي هو أخوه لكنه لم يستمر في حكمها إذ انه قام بتسليم تكريت إلى الخليفة العباسي الإمام الناصر لدين الله في شوال سنة ٥٨٥هـ ثم اعطي عوضا عنها

إقطاعـا في بغـداد مدينـة السـلام ورحـل إليـه جـاء ذكـره اسـتطرادا في وفيـات الأعيـان لابـن خلكـان في ترجمـة أخيـه الأمـير فخـر الـدين عيسىـ بـن مـودود إذ جـاء القـول: (وكـان لـه أخ اسـمه اليـاس وهـو الـذي سـلم تكريـت إلى الإمـام النـاصر لـدين الله في شـوال سـنة خمـس وثمـانين وخمسـمائة) كمـا وقـد جـاء عنـه في كتـاب تلخـيص مجمـع الآداب في معجـم الالقـاب مـا نصـه: (ذكـره شـيخنا تـاج الـدين في كتـاب الـروض النـاظر في أخبـار الإمـام النـاصر وقـال : هـو اخـو عيسىـ صاحب تكريت وكانوا عدة إخوة .. ولقد كان كاتبا بليغا).

__الأمـير كنينـو__: معـين الـدين أبـو المظفـر، واسـمه الكامـل هـو: أرنقـش بـن عبـد الله، ويعـرف بـ كنينـو، متـولي تكريـت. قـال عنـه ابـن الفـوطي في تاريخـه: (ذكـره القـاضي تـاج الـدين يحـيى التكـريتي في تاريخـه بصـفته ممـن قـرأ عليـه مـن الحكـام ووصـفه قـائلا: ولي أمـر تكريـت في يـوم الثلاثـاء ثـامن عشرـ شـوال سـنة خمـس وثمـانين وخمسـمائة، وكـان خـيّرا، خفيـف الوطـأة حسـن الأخـلاق، محببـا إلى الرعيـة، ولـم يـزل حاكمـا بهـا إلى ان تـوفى بيـوم السـبت سـادس شـوال سـنة ثمـان وثمـانين وخمسمائة، ودفن في القلعة ثم نقل إلى مشهد الكف).

__الأمـير ريحـان الـزانكي__: هـو الأمـير ريحـان الـزانكي اللقـب، الـتركي الاصـل، والـذي ولي أمـر تكريـت بعـد معـين الـدين ارنقـش في السـنة ٥٨٨ هـ. ذكـره ابـن الفـوطي ضـمن ترجمـة كنينـو في كتـاب تلخـيص مجمـع الآداب في معجـم الالقـاب مشـيرا إلى ان القـاضي تـاج الـدين يحـيى التكـريتي قـد ذكـره في تاريخـه

الخاص بصفته ممن قرأ عليه من الحكام والامراء ونقل عنه انه قال: (ولي.. أمر تكريت ريحان الزانكي ولم تطل أيامه..).

__الأمير أبو منصور الناصري__: واسمه أق سنقر بن عبد الله التركي، وكنيته فلك الدين ويعرف بفلك الدين الناصري الامير، تولى بلدة تكريت وحكم قلعتها. قال عنه ابن الفوطي في مجمع الآداب: (ذكره شيخنا تاج الدين يحيى التكريتي في تاريخه بصفته ممن قرأ عليه من الحكام)؛ وقال عنه ايضا (تولى الأمير آق سنقر فلك الدين الناصري بلدات دقوقا وتكريت دقوقا وبين النهرين ، وصعد قلعة تكريت في سابع عشر شوال سنة اثنين وتسعين وخمسمائة واستمال قلوب الرعية واستناب قتل غابه خطلبة ابن ساوتكين ثم عزله واستناب نور الدين الجوازي، وكان أميرا عادلا. ولقد توفى الله الامير أق سنقر فلك الدين في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ست وتسعين وخمسمائة هجرية.



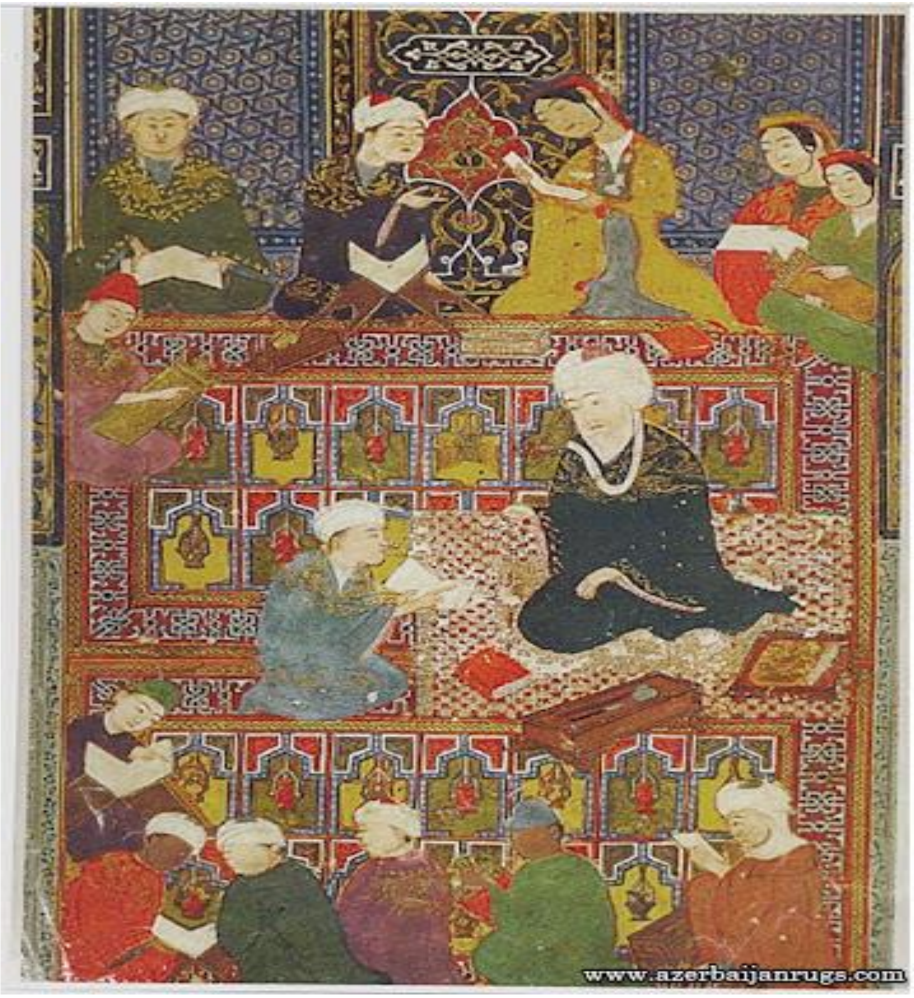
الخلفاء المعاصرون

لقـد عـاصر قيـام مبتكـر المـدارس وازدهارهـا بشـكل عـام في تـاريخ الحضـارة العربيـة الإسـلامية عهـود الخلفـاء العباسـيين الأواخـر أي منـذ مطلـع الشـوط الثـاني لعصرـهم النـاهض والزاهـر وبخصـوص المدرسـة الهمامـيـة فمـن خـلال متابعـة أخبـار هـذه المدرسـة في مـوارد التـاريخ، يمكـن التعـرف عـلى أسـماء الخلفـاء العباسـيين مـن المعـاصرين لقيامهـا ووجودهـا كمنشأة تعليمية وصرح علمي قام في بلدة تكريت حيث ان:

١. هـذه المدرسـة التكريتيـة كانـت قـد بنيـت في أواخـر سـني خلافـة الإمـام المسـتنجد بـالله، أبـو المظفـر يوسـف بـن محمـد المقـتفي لأمـر الله العبـاسي، الـذي ولـد في سـنة ٥١٨هـ، (١١٢٤ – ١١٧٠م) والـذي تـوفى في ثمـان ربيـع الآخـر سـنة ٥٦٦هـ، ١١٧٠م وكـان تسلسـله في الخلافـة العباسـية الثـاني والثلاثـين حيـث مكـث في الخلافـة إحـدى عشرـة سـنة أي مـن عـام (٥٥٥هـ) إلى عـام (٥٦٦هـ) وكـان ذكي بالفطرة ثم صار له معرفة واهتمام والمام في علم الفلك.

٢.واسـتمرت هـذه المدرسـة الاتابكيـة في تأديـة رسـالتها العلميـة التعليميـة كمدرسـة دينيـة طيلـة مـدة خلافـة المستضيـء بـأمر لله، الحسـن بـن المسـتنجد بـالله العبـاسي الـذي ولـد سـنة ٥٣٦هـ، (١١٤٢ – ١١٨٠م) ومكـث في الخلافـة تسـع سـنين ونصـف أي مـن عـام (٥٦٦هـ) إلى عـام (٥٧٥هـ) حيث توفي في سلخ شوال من عام (٥٧٥هـ).

٣.ثم امتدت هذه المدرسة التكريتية بعمرها التعليمي، إلى السني الاول من مدة خلافة الامام الناصر لدين الله ابي العباس احمد بن المستضيء بالله العباسي، باني المدرسة المستنصرية. الذي ولد في يوم الاثنين ١٠ رجب سنة ٥٥٣هجرية والذي مكث في دست الخلافة ست وأربعين سنة ونصف، أي من (٥٧٥هجرية) إلى(٦٢٢هجرية).



الأتابكة المعاصرون للمدرسة

ان الحقبـة الـتي تعـود إليهـا المدرسـة الهماميـة هي بـلا شـك (الحقبـة الاتابكيـة) وهي تشـكل جـزاءا مـن العصر العبـاسي الثـاني او الأخـير ولقـد كانـت تكريـت حاضـنة هـذه المدرسـة تعـد اتابكيـة ذات أهميـة ومـن خـلال الـتمعن في مـا ورد عـن المدرسـة الهماميـة في المضـان التاريخيـة الـتي أشـارت إليهـا يمكـن القـول بإنهـا كانـت قـد زامنـت في القيـام عهـود حكـم اثنـين مـن الاتابكـة ممـن يعـدون نـواب الخلفـاء في حكـم وإدارة الإقليم الإداري الذي تنتمي إليه هذه المدرسة إذ أنها:

١. بنيـت هـذه المدرسـة خـلال مـدة حكـم الاتابـك (الملـك) سـيف الـدين غـازي بـن الاتابـك الملـك قطـب الـدين مـودود بـن الاتابـك عمـاد الـدين زنـكي صـاحب الموصـل والجزيـرة الفراتيـة والـذي كانـت بلـدة تكريـت تابعـة لحـدود حكمـه حيث ان تكريـت كانـت بوقتهـا تعـد (مسـتحفظة) أي مركـز إقطـاع مـن اقطاعـات الاتابكيـة الزنكيـة الـتي تتمـدد عـبر شـهر زور شمالا والجزيرة الفراتية غربا وحتى بلدة تكريت جنوبا.

٢.ولقـد امتـد وجودهـا كمدرسـة دينيـة واسـتمرت تـؤدي وظيفتهـا التعليميـة طيلـة عهـد الملـك عـز الـدين مسـعود بـن قطـب الـدين مـودود بـن زنـكي والـذي حكـم بعـد شـقيقه الاتابك الملك سيف الدين غازي من ٥٧٦هـ إلى ٥٨٩هـ.

حقيقة لم تسعفنا الموارد الخبرية التي وقعت بأيدينا في التعرف على قائمة الشيوخ والفقهاء والمحدثين والمعيدين الذين درسوا أو أعادوا في هذه المدرسة، إذ لم نقف على أسماء أيا منهم بالواضح الجلي، غير أننا يمكن أن نستعرض بعضا أسماء من عاصروا قيامها من العلماء التكارتة ممن كانت لهم مكانتهم في ميدان التعليم من شيوخ كرسي فلعل منهم من قد ألقى الدرس فيها خاصة أو اسمع بها أو ناظر فيها. وإنها تقوم في بلدتهم الام التي ما انقطعوا عنها وهم:

القاضي يحيى بن القاسم : وهو: الإمام الفقيه والمحدث تاج الدين أبو المفرج يحيى بن القاسم التكريتي المولود بتكريت سنة ٥٣١هجرية والمتوفى ببغداد سنة ٦١٦هـ. الذي ترعرع في أحضان عائلة علمية فأبوه من أهل العلم وقد تتلمذ لأبيه و تفقه عليه ثم سافر يطلب الزيادة في العلم فكانت رحلته الحديثة فالموصل فبغداد بعدها عاد إلى بلده تكريت بعد ان أصبح شيخا من جملة الشيوخ مزودا بالإجازات العلمية وحملا بروايات شيوخ عصره فولي القضاء في بلده وعهد إليه بالتدريس فيها فقصده الطلاب من تكريت ومن غيرها ولعل شهرته في تكريت هي التي أدت إلى استدعائه للتدريس في نظامية بغداد سنة ٦٠٧هـ على انه آخر سنة من حياته ترك التدريس في النظامية ولزم رباط شيخ الشيوخ متوفرا على تحصل العلم الديني ولقد كان حيا وفعالا بنشاطه ومتواجدا في تكريت إبان وجودها.

علم الدين عبد الرحمن: وهو الفقيه والقاضي، أبو النجيب عبد الرحمن بن جمال الدين احمد بن المفرج بن درع التكريتي. ذكره ابن عمه القاضي تاج الدين يحيى في تاريخه كونه قد قرأ على والده جمال الدين القرآن والتفسير ثم ذهب ليتفقه بالنظامية ثم صار يعظ الناس وينشئ الخطب ثم انتدب لتدريس الفقه بماردين ثم تولى قضاء بلدته تكريت في أواخر عمره حيث توفي في عام ٥٧٦هجري وبذلك فانه لا يعدو ان يكون قد درس في الهمامية حيث ان وجوده في بلدة تكريت قد جاء معاصرا لقيام الهمامية.

العفيف أبو النجم: وهو الذي كان في حينها معيدا في نظامية بغداد. وكان حيا إبان وجود المدرسة الهمامية ببلدته تكريت واسمه الكامل: أبو النجم محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتي الملقب بالعفيف، الذي كان فقيها في المسائل والخلاف والذي جاء يذكر عنه انه كان في عام ٦٠٤ هـ أحد المعيدين في المدرسة النظامية ببغداد ثم أحد مدرسيها كما ويذكر انه أضحى أحد المدرسين في المدرسة القيصرية التي كانت بالقرب من مدرسة الشيخ السهروردي.

احمد بن المفرج بن جمال الدين: وهو الشيخ الصالح والعالم المجتهد وهو عم القاضي تاج الدين يحيى. ولد في سنة ٤٨٨هـ، وسمع من أبي شاكر محمد بن سعد بن خلف وقد م الى بغداد فأقام فيها في رباط الزوزني، فسمع وتحصل العلم الديني وعاد إلى بلده تكريت، وحدث ووعظ فيها، وتوفي فيها في ليلة عيد الفطر من سنة ٥٨٣هجرية.

أبـو البركـات محمـد التكـريتي: هـو الفقيـه والمحـدث الشـيخ أبـو البركـات محمـد بـن احمـد بـن سـعيد التكـريتي المتـوفى في تكريـت في العـام ٥٩٩هجـري، وهـو الـذي كـان حينـا مـن الـزمن مدرسـا للفقـه الشـافعي في المدرسـة النظاميـة في بغـداد. ولقـد كان حيا ومعطاءا إبان وجود المدرسة الهمامية في تكريت.

عبـد الله بـن سـويدة التكـريتي: هـو الفقيـه المحـدث الشـيخ عبـد الله بـن عـلي بـن عبـد الله بـن عمـر بـن الحسـن المشـهور بـابن سـويدة التكـريتي. كـان فقيهـا محـدثا، سـمع الكثـير وكتـب ورحـل في طلـب الحـديث، سـمع منـه جماعـة مـن أهـل تكريـت وممـن وردهـا. كـان عالمـا بالحـديث ولـه تصـانيف حسـنة منهـا (تـاريخ تكريـت) وخـرّج مشـيخة في الحـديث عرفـت بمشـيخة ابـن سـويدة. وتـوفي في تكريـت سـنة ٥٨٤هجريـة. ولقـد كـان حيا إبان وجود هذه المدرسة في تكريت ولعله حاضر فيها.

يوسـف بـن القاسـم بـن المفـرج: وهـو أخـو القـاضي أبـا زكريـا يحـيى بـن القاسـم. ولـد في تكريـت في عـام٥٢٥هجـري، درس الفقـه والأدب عـلى والـده الفقيـه القاسـم بـن المفـرج وعـلى عمـه الشـيخ جمـال الـدين احمـد بـن المفـرج وسـمع ببغـداد مـن جماعـة مـن مشـايخها ثـم سـكن بـإزاء مشـهد الكـف وحـدث بتكريـت. وكانـت وفاتـه في أوائـل رجـب سـنة ٦١١هـ ولقد كان حيا إبان وجود هذه المدرسة الاتابكية في تكريت.

يحـيى بـن سـعد الله أبـو الفتـوح بـن أبي السـعادات: المحـدث والفقيـه الشـافعي. مـن الشـيوخ الصـالحين والمحـدثين الثقـات في تكريـت وبغـداد. ولـد في رجـب سـنة ٥٣١هـ بتكريـت

وســمع ببلــده مــن والــده ومــن جماعــة وقــدم بغــداد مــرارا وســمع بهــا وحــدث ببلــده وخــرّج لنفســه أحاديــث وحــدث فيهــا، وعمــل بتكريــت (دارا للحــديث) وكــان يحــدث بهــا. قــال عنــه ابــن الــدبيثي: في مختصره (رأينــا أهــل بلــده مجمعــين عــلى الثنــاء عليــه ويصــفونه بالصــلاح) وذكــر المنــذري: (أنهــم كــانوا يتبركون به لصلاحه ومات في سنة ٦١٨هـ بتكريت).

عبــد الله بــن عمــر بــن المفــرج: كــان يكــنى أبــو القســم. درس الفقــه عــلى عمــه القــاضي الشــيخ تــاج الــدين يحــيى ثــم تــولى التــدريس والاســماع في تكريــت، ولقــد تخــرج عــلى يديــه عــدد غفــير مــن أبنــاء اسرتــه آل المفــرج. وجــاء عنــه انــه كــان صــالحا ذكيــا لــه فطنــة، ثاقبــة، قــرأ القــران عــلى والــده، وقــرا عــلى القــاضي الامــام تــاج الــدين يحــيى الــدروس في الفقــه، وكــان ينــوب عــن والــده في الخطابــة، وســمع الحــديث مــن عمــه جمــال الــدين احمــد، وأقــام في تكريــت يســمع ويشــتغل إلى ان سافر إلى الشام بتجارة فتوفي فيها في سنة ٦١١هجرية.

تــاج النســاء بنــت فضــائل التكــريتي: وهي شــيخة محدثــة زاهــدة صــالحة ابنــة الشــيخ الجليــل الفقيــه والمحــدث فضــائل بــن عــلي التكــريتي وزوجــة الشــيخ الحــافظ عبــد الــرزاق ابــن الفقيــه الشــيخ عبــد القــادر بــن أبي صــالح الجــيلي وام قــاضي القضــاة أبي صــالح نصرــ الجــيلي. ســمعت مــن زوجهــا ومــن والــده وحــدثت. درســت مــع زوجهــا، في مدرســة والــد زوجهــا الشــيخ عبــد القــادر الجــيلي وعــلى يــده ويــد صــحبه توفيــت في سنة ٦١٣هجرية. ولقد عاصر ت بحياتها قيام الهمامية.

مجـد الـدين التكـريتي: وهـو أبـو محمـد عبـد العزيـز بـن عمـر بـن القاسـم بـن المفـرج بـن درع، الفقيـه بالنظاميـة في بغـداد وهـو ابـن أخـو الشـيخ القـاضي التـاج الـدين يحـيى التكـريتي، ولقـد ذكـره في تاريخـه ا عـلى مـا يـروى ابـن الفـوطي كونـه ممـن قـرأ عليـه وروى عنـه. ولقـد كـان حيـا في نهايـة القـرن السـادس الهجري والذي هو زمن وجود هذه المدرسة في تكريت.

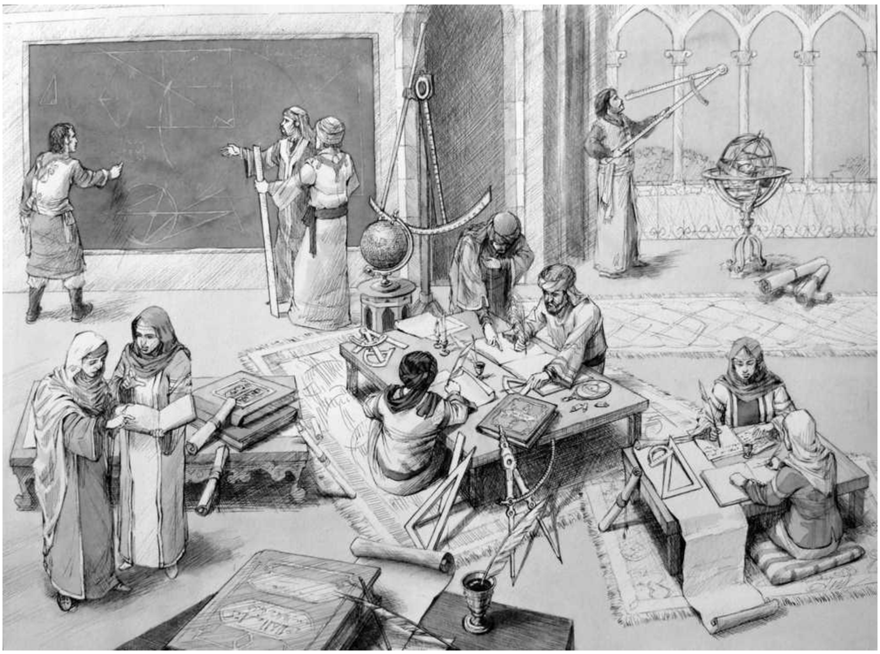
عمـر بـن عبـد الله بـن المفـرج: هـو الفقيـه المـدرس الشـافعي والأديـب الشـاعر الالمـعي والـذي كـان مـن الفقهـاء الشـافعية يـنظم ويفـتي وكـان إمـام زمانـه، حسـن الـنظم في العلـم، ذا بديهـة، وهـو عـم الشـيخ عبـد الـرحمن بـن يحـيى، وجـاء عنـه انـه ولـد في تكريـت سـنة ٥٤٠هـ وأقـام فيهـا وسـمع واسـمع بهـا إلى جماعـة مـن المشـايخ مـن أهلهـا وممـن قـدمها، وتـوفي فيهـا في جمـادي الآخـرة في السـنة ٦٢٢هـ عـن عمـر نـاهز الاثنـين والثمانين سنة. ولقد عاصر وجود هذه المدرسة في تكريت.

العبـاس بـن يحـيى التكـريتي: شـيخ في الحـديث أجـل، معـروف بـالعلم والفضـل. كـان مقيمـا في تكريـت يحـدث فيهـا. والتقاه وسمع منه الاديب ياقوت الحموي وأثنى عليه.

أبـو القاسـم التكـريتي: هـو محمـود بـن سـالم بـن سـلامة التكـريتي، الفقيـه الشـافعي والأديـب المحـدث الثبـت، واحـد العلمـاء العـدول في تكريـت. قـال عنـه الـزكي المنـذري في التكملـة: (لنـا منـه إجـازة). وقـال عنـه الامـام الـذهبي: (سـمع منـه عبـد الله بـن سـويدة، روى عنـه بالإجـازة ابـن عسـاكر). توفي سنة ٦٣٤ هجرية وأرخ ابن النجار تاريخ وفاته.

كمـال الـدين ابـو بكـر؛ وهـو الشـيخ الفقيـه والمحـدث احمـد بـن القـاضي عبـد الـرحمن بـن القـاضي تـاج الـدين يحـيى بـن القاسـم التكـريتي الفقيـه والمقـرئ. ذكـره ابـن الفـوطي في مجمـع الآداب. وممـا قالـه فيـه انـه ابـن القـاضي والفقيـه ابـو النجيب فخر الدين عبد الرحمن ناظر المستنصرية.

المباركـة خديجـة: وهي ابنـة الشـيخ الجليـل نعمـان بـن ابي منصـور بـن عثمـان التكـريتي، شـيخ تكريـت وعالمهـا، وزوجـة الفقيــه الشــافعي والمــدرس الالمــعي والاديــب الخطيــب صـاحب المصـنفات الشـيخ عمـر بـن عبـد الله ابي القاسـم بـن المفـرج المتـوفى بتكريـت في سـنة اثنتـين وعشريـن وسـتمائة، وام اولاده العلماء الاعلام. وكانت من العالمات المباركات.



تعيين موقع المدرسة

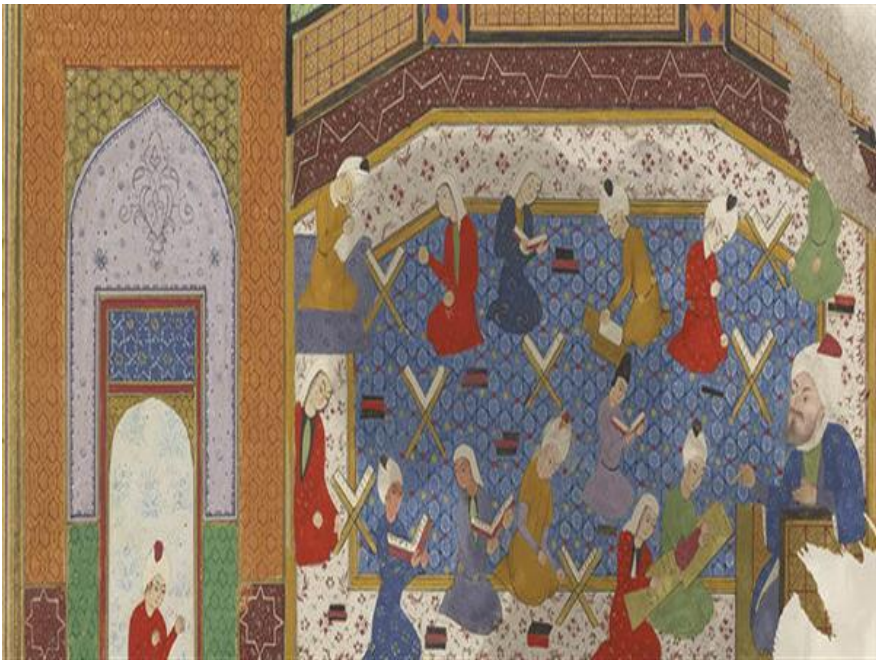
المواقع الأثرية هي المواضع المعينة التي تم مسحها ومن ثم الاقرار حولها في كونها مناطق تتواجد فيها الآثار المادية القديمة من التي تبين او تشهد على انها مواقع تاريخية أو قبل تاريخية، وممكن أن تتواجد في مثل هذه الأماكن ادلة كتابية أثرية تبين الأحداث التي وقعت في ذلك الزمان وذلك المكان وعادةً ما تتواجد في هذه الأماكن مباني ذات اهمية تاريخية ومنشآت حيوية لها بصماتها الحضارية.

وبمقارنة المميزات العامة للنظام الخططي والعماري لفن بناء مدارس الحضارة الإسلامية في العراق مع الخرائط العمارية المستظهرة لبعض المواقع الأثرية التي تم الكشف الأثري عليها في قصبة تكريت التاريخية، أرى وبما لا يقبل الشك بان الموقع الأثري والتاريخي المعروف محليا بـ (تل محيسن) أو مزارة محيسن والذي يقع اليوم في قلب مدينة تكريت إن هو إلا تلك المدرسة المعروفة بـ(الهمامية) وهو الذي تنطبق عليه المميزات الخططية والعمارية المشار إليها حيث ان الاطلاع على خارطة البناء التي أظهرتها معاول المنقبين فيه سيظهر بوضوح كونه مدرسة. إذ انه بهيئته وخططه المكتشفة يشترك مع نظم بناء المدارس التي شاعت في العصر العباسي الثاني فالموقع مستطيل الفناء تحيط به مشتملات محورها مسجد ذي محراب مجوف في القسم الوسطي من جدار القبلة إضافة إلى وجود قاعات كبيرة تصلح بان تكون قاعات درس إضافة

إلى أن السلم الموجود في جهة الباب ربما كان يؤدي إلى طابق ثاني كانت تشتمله المدرسة ويضم جناح الحجرات الخاصة براحة التلاميذ وأماكن إقامتهم ومذاكرتهم.

فمن هذه الأستدلالات الإخبارية التاريخية ومن تلك القرائن الأثرية البنائية الملموسة يمكن لي أن اجتهد فأقول:

إن موقع تل محيسن الأثري أو كما يسمى (مزارة محيسن) الذي يتوسط مدينة تكريت العتيقة. إنما هو قد كان فيما غبر من الازمان (مدرسة جامعة عالية) وهي لا تعدو عندي أن تكون (المدرسة الهمامية) التي قامت في تكريت في العهد الاتابكي ذلك لتوافق التاريخ ولتشابه الشواهد فضلا على أنها أهي ايضا قد شيدت أواخر القرن السادس للهجرة.



حيوية مكان المدرسة

لـم يكـن يـأتي اختيـار مكـان المدرسـة الهماميـة في خارطـة تكريـت الحضريـة ابـان ذلـك العهـد اعتباطـا إنمـا كـان قـد جـاء عـلى وفـق العـرف المعتـاد آنـذاك والـذي كـان يقـوم عـلى تفضـيل المكـان أو الموضـع بحسـب طهارتـه وقدسـيته الروحيـة لهـذا كانـت ظـاهرة وجـود المـدارس بـالقرب مـن أضرحـة ومراقـد الأجـلاء مـن الصـحابة والتـابعين ومشـاهد ومقامـات الأوليـاء الصـالحين أمـرا مفضـلا ومألوفـا وعـلى هـذا الأسـاس كـان اختيـار مكـان المدرسـة الهماميـة كمـا أرى حيـث يعتقـد بعـض المفكـرين وجـود قـبر في المكـان الـذي قامـت عليـه المدرسـة لأحـد الرجـال الصـالحين حيـث توسـع المكـان ليضـم مقامـا فمسـجدا ثـم آل لـه بـان يكـون في عهـد همـام الـدين مدرسـة دينيـة كـبرى. وان الـذي يـدعم رؤيـتي هـو إن أجـزاء البنـاء وخاصـة منهـا الـتي جـاءت ملحقـة بالمسـجد لـم تكـن مبنيـة في نفـس الفـترة الزمنيـة إذ توجـد حلـول بـين غرفـة واخـرى وعـدم وجـود التعشـيق في البنـاء فربمـا كانـت منشـأة مدنيـة ذات أغـراض اخـرى جـرى تحويرهـا، إذ ان بعـض أقسـام البنايـة الكبـيرة قـد اضـيفت في فـترات لاحقـة وفي مراحل كانت تتحكم فيها دواعي الحاجة وتطور الأغراض.

الصروح الملحقة بالمدرسة

قــبر فخــر الــدين: ان القــبر الــذي أشــار اليــه الــدكتور جــابر خليــل ضــمن تقريــره المعــد في حــق موســم التنقيــب الــذي انجــزه مــع فريقــه في الموقــع الاثــري للمدرســة والــذي لــم يشرـ الى هويتــه ســوى قولــه بــ (انــه كــان هنالــك قــبر مميــز يتوســط الغرفــة الــتي تأخــذ الــركن الجنــوبي الغــربي للمبــنى) انمــا هــو عنــدي وعــلى حســب قــراءتي لتــاريخ المدرســة لا يعــدو الا ان يكــون قــبر الأمــير الفقيــه والفقيــه الأمــير فخــر الــدين عيسىــ بــن مودود بن علي التكريتي متولي هذه المدرسة بعد مؤسسها.

قـــبر المنصـــور: إن المـــتمعن في الخارطـــة الأثريـــة للمكـــان التــاريخي المعــروف اليــوم بــ تــل محيســن والــذي فيــه يتجســد الموقــع الأثــري المفــترض مــن قــبلي للمدرســة الهماميــة ســوف يجــد ان هنالــك ملامــح اســس وبقايــا ركــام لصرــح حضــاري يقبع مجاورا له من جهة الشمال الشرقي.

ان تلكم الاسس مع بقايا الركـام الـذي عليهـا والـتي تشـكل تـلا أثريـا يتسـمى شـعبيا بـ (تـل قـبر المنصـور) لا تعـدو في رؤيـتي إلا أن تكـــون إحـــدى الملحقـــات المعماريـــة المهمـــة الـــتي كانـــت مرتبطـة بالمدرسـة أو تابعـة لهـا. إذ ممكـن تكـون دارا للحـديث أو للإقــراء تابعــة لهــا أو تكــون مارســتانا ملحقــا بهــا أو ممكــن تكـون دكـاكين ومشـاغل حرفيـة كـان قـد خصـص ريعهـا كوقـف لتمشـــية امـــور المدرســـة الإداريـــة والخدميـــة أو ربمـــا تكـــون جبانــة لمثــاوي شــيوخها ثــم لعــل القبــة الــتي كانــت والى وقــت قريــب تقــوم عــلى التــل المــذكور وتــدعى محليــا بقبــة (ســيد منصـــور) لا تعـــدو عنـــدي إلا أن تكـــون هي قبـــة ضريـــح

(المنصــور) ابــن أمــير تكريــت فخــر الــدين عيسىـ متــولي المدرسة ووارث رعايتها عن عمه همام الدين.

قــبر معــين الــدين: يـذكره الفـوطي في كتابـه مجمـع الآداب في معجـم الألقـاب، ضـمن ترجمـة متـولي تكريـت الأمـير معـين الـدين أبـو المظفـر بـن عبـد الله بـالنص: (انـه عنـدما توفـاه الاجــل في الســادس مــن شــوال مــن ســنة ثمــان وثمــانين وخمسـمائة، نقـل رفاتـه مـن القلعـة ليـدفن في مشـهد الكـف). وموقـع مشـهد الكـف هـذا عنـدي هـو ذلـك الموضـع المحـاذي لموقـع المدرسـة الهماميـة الافـتراضي والـذي هـو عـلى حسـب تقـديري انمـا كـان قـد اعتـبر مـن قبـل مؤسـس المدرسـة المكان المبارك والطاهر المنتقى بعناية لان تجاوره بنايتها تبركا به.

مشــهد الكــف: وهــو تلكــم (التلــة) المجــاورة لــ المدرســة الهماميـة والـتي جـاءت آكامهـا تضـم: مثـوى الأمـير المنصـور شـمس الـدين الـذي تعلـوه قبـة والـذي يشـتهر لـدى اهـالي تكريـت بـ الشـيخ منصـور. كمـا وتضـم في طياتهـا الـداثرة مثـوى اخـر هـو مثـوى متـولي تكريـت ومتـولي مدرسـتها الأمـير معـين الـدين كنينـو والـذي درسـت معالمـه بالتقـادم للعهـود. ولعـل مـن علائـم اجـلال هـذا المشـهد هـو ان أجيـال النـاس كانـت قـد تـواترت وتوارثـت تسـميته بـ المـزارة. ولعـل وجـوده في المكـان كـان الـداعي الـذي دعـا وآل بـالأمير همـام الـدين تـبر بـن عـلي التكـريتي والــذي هــو عــم ابــاء المقبــورين عنــده لان يبــني بجواره مدرسته التي اسماها(الهمامية) تبركا به وتشريفا لها.

وصف الموقع الأثري للمدرسة

يشـــخص الموقــع الأثــري المفــترض مــن قــبلي للمدرســـة في الفسـحة الواقعـة خلـف بنايـة اتصـالات تكريـت. وهـو اليـوم عبارة عن خربة من ركام لباقي جدر آيلة للزوال.

قــام الاســتاذ الــدكتور جــابر خليــل التكــريتي بــإجراء موســم تحريـات اثريـة فيـه في سـنة ١٩٦٩م مـن خـلال ترأسـه لفريـق تنقيب وتحري تشكل من قبل مديرية الآثار العامة.

ولقــد صــدر عــن الفريــق تقريــر أعــده الــدكتور جــابر وان مــن بـين مـا جـاء فيـه مـا يـلي: (يضـم الموقـع خرائـب وأنقـاض أبنيـة لاتــزال بعــض بقاياهــا شاخصــة لكــن القســم الأعظــم مــن الجـدران وسـقوف الغـرف وأرضـياتها امتـدت إليهـا يـد العـابثين للتفتـيش عـن اللـقى الثمينـة وأخـيرا اقتطـع الشـارع الـذي يحـده مـن الشرـق قسـما منـه وبعـرض مـترين ونصـف تقريبـا. أي ان الجهات الخارجية لهذا الموقع قد اندثرت معالمها).

قامــت المدرســة الهماميــة في الجهــة الغربيــة الجنوبيــة مــن خارطــة تكريــت الاثريــة العباســية، وجــاءت لتشــكل أهــم الأبنية في مدينة تكريت ولعل ما تبقى منها لخير دليل.

لعلــني لا أتــوهم في تعييــني لموقــع هــذه المدرســة في خارطــة تكريـت اليـوم حيـث أجـد إن موقعهـا لا يعـدو إلا أن يكـون هـو ذاتـه تـل محيسـن الأثـري الـذي يحـاذي فضـائية صـلاح الـدين وبــرج الاتصــالات مــن الجنــوب الشرــقي وهــو ذات الموقــع الأثــري الــذي أكــدت التحريــات الأثريــة الــتي أجراهــا الــدكتور

جـابر خليـل التكـريتي فيـه عـلى انـه يضـم طبقتـين بنـائيتين العليـا منهـا تعـود للعهـد الاتـابكي أي أواخـر القـرن السـادس الهجـري وهي في تخطيطهـا تـدل بمـا لا يقبـل الشـك عـلى كونهـا مدرسـة. وبهـذا يكـون اعتقـادي بأنهـا المدرسـة الهماميـة في محلـه لان المدرسـة الهماميـة أيضـا تعـود للعهـد الاتـابكي فضـلا عـلى أن الريـازة والهيئـة الظـاهرة في مـا هـو متبقي من أجزائها تدلان كذلك على ما ذهبت إليه.

أنهـا عبـارة خربـة أثريـة مازالـت جـدرانها شاخصـة اليـوم للنـاظر إليهـا خلـف بنايـة شـبكة اتصـالات تكريـت. لقـد أجـرى فيهـا الـدكتور جـابر خليـل عمليـات تحـرٍ وتنقيـب في مطلـع السـبعينات مـن القـرن المنصرـم وكشـف في تقريـره عنهـا المنشـور في مجلـة سـومر المجلـد ٣٦: أن جـدرانها المتهرئـة تـبطن في أرضـيتها ثـلاث طبقـات بنائيـة لثلاثـة أدوار حضرـية إسـلامية أقـدمها يعـود إلى القـرن الثالـث الهجـري أمـا أحـدثها فيعـود إلى القـرن السـادس الهجـري. كمـا وكشـف عـن جـدرانها المبنيـة مـن الحصىـ والجـص واسـتظهر مـا تحويـه في طبقتهـا الأحـدث مـن غـرف ومرافـق أخـرى وبيـت صـلاة وقـبر لشـخص مهـم وهي في خططهـا أقـرب لأن تكـون مدرسـة دينيـة عـن أي شيء آخـر. وللتفصـيل عـن خارطتهـا البنائيـة يمكـن مراجعـة عـدد المجلـة المـذكور. وتـذكر بعـض المراجـع بـإن السـيد وليـد ياسـين التكـريتي تـرأس هيئـة فنيـة في عـام ١٩٧٢ لصـيانة هـذه العمـارة كانـت قـد بـدأت العمـل في ١٩٧٢ /٩/٩ وكتبـت نتائجهـا في تقريـر خـاص. ولقـد ذكرهـا عـددا مـن الكتـاب التكارتـة المحـدثين بكونهـا مـزارة تتسـمى محيسـن كمـا وذكرهـا

عـددا مـن البـاحثين العـراقيين في كتـبهم الأثريـة لعـل مـنهم سـهيل قاشـا صـاحب كتـاب تكريـت حـاضرة الكنيسـة الشرـقية الصـادر عـام ١٩٩٢ إذ قـال عنهـا أنهـا خرائـب كنيسـة. وأمـا أنـا فـأقول إن هي عنـدي إلا آكـام مدرسـة إسـلامية عليـا مؤيـدا بـذلك مـا قالـه الاسـتاذ الـدكتور جـابر خليـل التكـريتي في تقريـره المـذكور آنفـا. ومضـيفا إلى ذلـك القـول اعتقـادي الشخصيـ ورؤيـتي بـان المدرسـة الـتي تجسـدها آثـار خططهـا العمرانيـة إن هي إلا بقايا المدرسة (الهمامية) التي ذكرها التاريخ.

وهنالـك معـالم قليلـة مـن مدينـة تكريـت التاريخيـة قـد بقيـت شاخصة، منها المعلم الذي اعتبرته (المدرسة الهمامية).

وأمـا سـائر مبـاني تكريـت الاثريـة العباسـية وهي كـثر فقـد دثـرت وزالـت مـن الوجـود المـدني لتكريـت وكـان آخـر مـا خـرب منهـا هو صرح مزار الأربعين وقد كان قائما لحد عام ٢٠١٣م.

ويؤخـذ مـن ذلـك كلـه إن بقايـا ركامـات الموقـع الاثـري الافـتراضي للمدرسـة الهماميـة في تكريـت المدينـة العتيقـة إنمـا تعـد مـن أبـرز واجـل الصـور التاريخيـة والنمـاذج الأثريـة الـتي انتهت إلينا من العصر الحضاري الإسلامي بمرحلته الزاهرة.

التسمية المحلية لموقع المدرسة

يعـرف الموقـع الأثـري الـذي لـه علاقـة موضـوعية بمحتـوى بحثنـا هـذا محليـا بتسـمية تـل محيسـن أو بمـزارة محيسـن وهـذه التعرفـة تنطـوي في حقيقتهـا عـلى تسـمية شـعبية محليـة غـير معلومـة زمـان الإطـلاق ألا أنهـا اعتمـدت كتسـمية دلاليـة في سـجلات دوائـر الآثـار وفي تقـارير التنقيـب، دون ان يكـون هنالـك تفسـير بدلالـة هـذه التسـمية واصـلها التـاريخي كمـا لـم يتبـين فحـوى الاسـم لا تـواترا ولا كتابـة. ولكنـني في هـذه الفقـرة أحـاول أن ابـدي رأيي الافـتراضي فيـه بالاسـتناد إلى الصـفة الـتي ترفـق بهـذا الاسـم واقصـد كلمـة مـزارة الـتي تسـبق اسـم محيسـن فبمـا ان هـذه التسـمية تشـمل الكلمـة الـتي تعـني المـزار فمعـنى هـذا ان المكـان في أصـله قـد كـان مكانـا طـاهرا وهـو يضـم قـبرا مباركـا ينطـوي عـلى شخصـية صـالحة تحمـل تسـمية محسـن أو المحسـن وتفـرض عـلى النـاس الزيـارة وربمـا ان زمانهـا يـؤول إلى العهـود الاولى لصـدر الدولـة العربيـة الإسـلامية بيـد انـه وبعـد دورات لـدولاب الأزمنـة والأحـوال تبـدل فيهـا غـرض المكان أكـثر مـن مـرة آخرهـا مدرسـة آلـت ان تقـوم عنـد القـبر المبـارك الـذي كمـا قلنـا انـه كـان قـد ثـوي في المكـان بـزمن أقـدم بعـد ان حبـب لبناتهـا ان يبنوهـا قـرب ضريـح هـذا المبـارك الـذي أصـل اسـمه كـان محسـنا ولكـن تداوله شعبيا بالتواتر أماله لفظا إلى محيسن.

وإذا مـا سـئل سـائل عـن ورود أخبـار قيـام مـدارس أو دور تعلـم عنـد المشـاهد أو القبـور أو المقامـات؟ فنقـول لـه: نعـم،

فلقـد ورد الكثـير مـن ذلـك في تراثنـا الفكـري العـربي والإسـلامي، فمـثلا ورد في ترجمـة الملـك أبـو سـعد الخـوارزمي (مسـتوفي السـلطان ألـب ارسـلان): انـه بـنى الى جانـب مشـهد ومرقـد الإمـام أبـو حنيفـة النعمـان رضي الله عنـه مدرسـة جامعـة في عـام ٤٥٩هجـري. وورد في أخبـار مصر بحقبتهـا الحضـارية الأيوبيـة: إن المـدارس الـتي أنشـأها النـاصر صـلاح الـدين الأيـوبي في مصر والقـاهرة كلهـا كانـت مجـاورة لامـاكن التـبرك والزيـارة القديمـة مثـل جـامع عمـرو وضريـح الإمـام الشـافعي والمشـهد الحسـيني ممـا يـوحي بـأن المنشئ للمدرسـة قـد أراد ربـط المدرسـة - المبتكـر الحضـاري الجديـد بأمـاكن التـبرك والتنسك الروحي والزيارة الإسلامية القديمة.



التخطيط والبناء للمدرسة

البنايـة تـجيء عـلى شـكل مسـتطيل أطـول ضـلع فيـه هـو الشرـقي البـالغ ٣٩ مـترا وان البـاقي الشـاخص مـن جـدرانها يـتراوح ارتفاعـه بـين ثـلاث مـترات وأربـع وأبـرز مـا تـبقى مـن معالمهـا دعامـات عليهـا بقايـا عماريـة هي عبـارة عـن أكتـاف أقـواس كـذلك هنالـك بقايـا أرضـيات مـن الجـص كمـا وان أهـم جـزء فيهـا هـو الواجهـة الجنوبيـة والـتي تعـد محـور البنايـة الـرئيس وتضـم (بيـت الصـلاة). وهي بشـكل عـام منشـأة مبنيـة بالحصىـ الكبـيرة (الجلمـود) والجـص وأقسـام منهـا مبنيـة بالطـابوق الفـرشي الـذي اسـتخدم بصـورة قليلـة في تكريـت. ولقـد كسيـ البنـاء كلـه بطبقـة مـن الجـص ثـم إن خارطتهـا البنائيـة الـتي قضـمت منهـا الـدهور قـد وزعـت مرافـق البنـاء عـلى كامـل الأطـراف وان هيئتهـا العماريـة تـوحي أنهـا إنمـا بنيـت لأغـراض دينيـة، ربمـا لا تختلـف كثـيرا عـن بنايـة الأربعـين. ويلاحـظ إن أقسـامها البنائيـة العليـا قـد جعلهـا الهـدم والتآكـل هيكـل ركـامي أو خربـة متهاويـة. أمـا أقسـامها السـفلى فقـد دفنتهـا الأنقـاض الحديثـة. عـلى الـرغم مـن ان هنـاك بعـض أجزاءهـا مازالـت تحـتفظ بـبعض الأقبيـة الـتي تظهـر بكونهـا مشادة بالجلمود (الحصى) والجص.

تفاصيل الخارطة الأثرية للمدرسة

من خلال مطالعة التقرير الأثري للدكتور جابر خليل التكريتي الذي جاء منشورا في مجلة سومر في المجلد ٣٦ لعام ١٩٨٠م والموسوم: (تنقيبات الموسم الأول في تل محيسن بتكريت) يمكن للباحث عن تفاصيل صرح المدرسة التعرف على المشتملات الآتية في موقع الدراسة:

المدخل: يقع المدخل الرئيس للبناية في جانبها الشرقي ويعد المدخل الوحيد لها وهو بشكل سلم عرضه ٣,٣٨م مكون من درجات المتبقي منها ٧ وتبدأ من الأرض المقابلة للجبهة حتى ينتهي بضلع واقع في الجهة الغربية وعلى جانبي هذا السلم جدران تجانبهما دكتان أو مصطبتان.

الصحن: عندما يجتاز الداخل الى المدرسة لمدخلها سوف يصل إلى ساحة مكشوفة (باحة) واسعة مستطيلة الشكل أبعادها هي وهذه المساحة بمثابة المصدر الرئيس للضوء والهواء بالنسبة لمشتملات المدرسة فضلا على كونها مجمع مشتملاتها. ان هذا الصحن في المدرسة الهمامية قد جاءت أرضيته مبلطة بالطابوق (الآجر) الفرشي.

الإيوان: بالرغم من عدم الإشارة من قبل الدكتور جابر خليل بشكل واضح عن الإيوان في البناية غير أنني أرى بأنه يشكل وإحدى الغرف الكبيرة ويطل على الساحة (الصحن الوسطي) إيوان ويقع في الجهة الغربية من خارطة البناية ووجهه على الصحن مقابل مدخل البناية الذي يكون في

الواجهــة الشرـقية لهــا وان غــرض وجــوده إنمــا هــو لأجــل الدرس والمناظرة والاجتماع.

بيــت الصــلاة: مســجد المدرســة أو (بيــت الصــلاة الــرئيس) فيهــا يشــغل الجهــة الجنوبيــة (القبليــة) مــن خارطتهــا البنائيــة ويــجيء مكانــه ليشــكل المحــور للبنايــة برمتهــا وهــو يأخــذ طــول ٢٠,٥٨ مــتر مــن امتــداد الواجهــة الجنوبيــة (القبليــة) وأربعــة أمتــار ونصــف مــن عــرض هــذا الامتــداد ويتكــون مــن اسـكوب واحــد تقطعــه ثــلاث بلاطــات والوســطية منهــا هي اكــبر مســاحة مــن البلاطتــين الاخــرتين والــتي تشــكل مجنبتــين لــه ويتوســط جــدار القبلــة في بيــت الصــلاة هــذا محــراب مجــوف بشــكل نصــف دائــري بعــرض ١,٧ســم وعمــق ٨٠ســم ويــدخل إلى بيــت الصــلاة بأربعــة مــداخل أمــا صــحن هــذا المســجد فيصــعد عليــه بواســطة ســلم عرضــه مــتران ونصــف ولاتــزال بقايــاه واضــحة. وهنالــك مصــلّى صــيفي يتقــدم بيــت الصــلاة الــرئيس هــو يحــوي أيضــا عــلى محــراب مشــابه للمحــراب الأول الذي أشرنا له انفا.

الأروقــة: هنــاك أروقــة تجانــب بيــت الصــلاة وهي فاصــلة بينــه وبــين بعــض المرافــق البنائيــة المجانبــة لــه مــن الغــرب والشرـق للبنايــة يــأتي منهــا الــرواق الــذي يتقــدم المســجد والــذي يمتــد عــلى طــول بيــت الصــلاة ويــجيء بشــكل مســتطيل ومنهــا الــرواقين الجــانبيين للمســجد واللــذان يضــمان المــدخلين الجانبيين لبيت الصلاة والذين يجيئا بعرض متر واحد.

الحجـرات والغـرف: تحتـوي بنايـة المدرسـة عـلى حجـرات وغـرف متجـاورة تحـيط في فنـاء المدرسـة. وارى أنهـا قـد بنيـت لتكـون مسـاكنا للطلبـة وللمدرسـين مـن الشـيوخ أو لتكـون قاعـات للـدرس والمدارسـة وجـاء موقعهـا في الخارطـة البنائيـة للمدرسـة في المحـيط أي أنهـا شـغلت الواجهـات الغربيـة والشـمالية وقسـم مـن الشرـقية ولقـد بينـت عمليـة التنقيـب في الموقـع أنهـا تعـود لفترتـين تـاريخيتين وان ثمانيـة غـرف منهـا لـم يتبـق مـن جـدرانها سـوى ارتفـاع مـتر ونصـف تقريبا وهي مستطيلة الشكل بإبعاد ٣,٥x٤,٥ متر.

غرفـة القـبر: هنـاك في الـركن الجنـوبي الغـربي مـن بنايـة المدرسـة الهماميـة كانـت توجـد غرفـة ركنيـة تشـكل الزاويـة الجنوبيـة الغربيـة وهي تعـد أهـم غرفـة في عمـوم البنايـة، وذلـك لكـونهم قـد وجـدوا في أرضـيتها بقايـا قـبر يـجيء بشـكل صـندوق خشـبي متهـرئ وهيئتـه تـدل عـلى انـه (ذا أهميـة اعتباريـة) في تـاريخ المدرسـة. وأجـد بانـه لا يعـدو إلا ان يكـون قـبر الأمـير أبـا المنصـور فخـر الـدين عيسىـ بـن مـودود التكـريتي متـولي المدرسـة وراعيهـا واحـد المـواظبين عـلى القـراءة عـلى شـيوخها، حيـث جـاء الخـبر عـن وفاتـه يـذكر بانـه قـد تـم دفنـه في هـذه المدرسـة. كمـا ويوجـد قـبر ثـاني في المدرسـة تـم العثـور عليـه في أرضـية غرفـة تشـكل الزاويـة الجنوبيـة الشرـقية ويظهـر ان هـذا القـبر بهيئتـه يكـون أقـدم عمـرا مـن عمـر البنايـة برمتهـا ويؤول لعصر حضري اسبق ولغرض مدني أقدم والله اعلم.

الإسـالة وتصريـف الميـاه: يوجـد ضـمن الصـحن ثلاثـة آبـار أحـدهما قـرب سـلم المـدخل في الواجهـة الشرـقية والآخـر في

زاوية الغرفة التي تقع في الركن الشمالي الغربي للبناية والثالث في الواجهة الشمالية والظاهر ان هذه الآبار التي تأتي جدرانها مكسية بطبقة من القير كانت لتأمين الحاجة من الماء للشيوخ والطلبة للاغتسال والوضوء والمعيشة. فضلا عن ان هنالك في إحدى الغرف حوض صغير كانت تتصل به اقنية ومجاري فخارية عليها طبقة باقية من القير تنحدر نحو الغرب من البناية. ان أرضية الغرفة المبلطة بواسطة القير تنحدر نحو الشمال ويلتقي الانخفاض بمجرى واقع تحت الجدار الشمالي للبناية وتحديدا في القسم الوسطي من هذا الجدار.

الكتابات والنقوش: في التقرير الأثري الذي نشره الدكتور جابر خليل في مجلة سومر المجلد ٣٦ حول الموقع مدار بحثي جاء ذكر عبارات نصية مكتوبة بالحبر الأسود قد عثر عليها على طلاء من الجص على احد الجدران الكائنة إلى يسار محراب بيت الصلاة وكانت محاطة بالأصباغ الحمراء وبعض من الدوائر الهندسية وقد أصاب التلف قسما من كلماتها وما تبقى من عباراتها يوحي بالأهمية الروحية للمكان إذ تشير واحدة من هذه العبارات ان شخصا يعرف بابي الفرج بن عبدالله النصال قد حضر الموضع وهناك عبارة اخرى لم يتبق منها سوى الجملة التي نصها جاء يقول (...العبد الفقير إلى ربه).

وان تعليقي على هذا الأمر هو ان مثل هذه الأمكنة الطاهرة والمباركة كانت قد اعتادت على الزيارة من قبل أهل الرحلة العلمية من شيوخ الإسلام ومن قبل أهل السياحة الروحية

مـن أهـل التصـوف. ولعلـني لـن أتـوهم ان قلـت إن هـذا الاسـم المـذكور آنفـا ان هـو إلا علـم مـن مشـايخ أهـل التصـوف كـان قـد حـل في المكان بعـد حـين مـن عطـاءه ليقـوم بواجـب الزيـارة الروحية لأضرحة شيوخه من التي باتت في المكان.

أعمـال دوائـر الآثـار: بعـد ان أنجـزت معـاول المنقبـين أعمالهـا وكشــفت عــن مخطــط الموقــع المنــدثر وأظهــرت هيئتــه العماريــة بالكامــل في موســم التحــري الــذي تــم فيــه والــذي اجــري في المــدة ١٩٦٩ الى -١٩٧١ م وكـان فريـق العمـل فيـه برئاسـة الـدكتور جـابر خليـل التكـريتي وعضـوية كـل مـن خالـد خليـل وقحطـان عبـد الحميـد وخضر عبـدالله وطـه إسـماعيل الـدهام ، قـام فريـق العمـل بإحاطتـه بسـياج لحمايتـه مـن التخريـب فقـط، ولعلـني هنـا لا أجانـب الحقيقـة إذا قلـت أنهـا كانـت العمليـة الوحيـدة الـتي حصـلت بحـق هـذا الموقـع دون ان يعقبهــا أي مواســم تحــري أو أي مواســم صــيانة وتعمــير اخــرى لاحقــة رغــم دوامــة المــؤثرات والأحــوال الــتي أتــت متواليـة وقضـمت أشـياء مـن هـذه البنايـة في الـزمن اللاحـق وصـولا إلى اليـوم حيـث أمسـت في حـال لا تحسـد عليـه وهي تعـيش بـه أنفاسـها الأخـيرة قبـل الـزوال رغـم أصـالة صـيتها فليس هنالك من ينصفها حتى لو كان استذكارا لها.

الطبقــات الســفلى للموقــع: ان غالــب تلــك المشــتملات العماريـة الـتي ذكرنـا وغيرهـا مـن اللواحـق المعماريـة الـتي لهـا علاقــة وظيفيــة بالمدرســة الهماميــة موضــوعة دراســتنا في هـذا الكتـاب إنمـا كانـت قـد اقيمـت في أواسـط القـرن السـابع الهجـري مكونـة طبقـة بنائيـة ملامحهـا وهيئتهـا وخصائصـها

العمارية تؤكد أنها ذات وظيفة علمية تعليمية واضحة وقد وجاء قيامها فوق طبقة عمرانية كانت أقدم منها عمرا وهي ذات وظيفة مختلفة عنها، ويمكن أن نطلق عليها(الطبقة السفلى) والتي هي ومن خلال معاينة ملتقطاتها الشيئية وأجزائها الباقية إنما تؤول إلى القرن الثالث الهجري تحديدا وتعكس كونها عبارة عن مشغل للفخار يات أو فرن تزجيج للزجاجيات ،حيث ان التنانير التي عثر الدكتور جابر خليل على بقاياها في المكان باثناء عمليات تنقيبه في الطبقات الاسفل للمدرسة إنما كانت افران او تنانير تنتج الأعمال الزجاجية والفخارية المختلفة الأنواع والأشكال والأغراض من التي كانت تحتاجها مدينة تكريت أو تتاجر بها كالأواني الفخارية المتنوعة المعمولة بطريقة (الباربوتين) وكالخزفيات المزججة وذات الالوان المختلفة وكالخشبيات المعمولة ببراعة والمحفورة بطريقة المشطوف. والتي تعود في صناعتها البديعة الى اواسط القرن الثالث الهجري.



مستندات رؤيتي الشخصية
في تحديد موقع الهمامية

لقد تطرقت الى المدرســة الهمامية في تكريت بعض البحوث والدراســات التاريخية والاثرية التي كتبت عن تاريخ وتراث مدينة تكريت غير ان موضوع موقعها في خارطة تكريت الاثرية لم يحسم امره فالبعض من تلك البحوث تعمد عدم الإشــارة الى موقع هذه المدرسة واكتفى في الإشارة الى قيامها والبعض الاخر كان قد تطرق الى ذلك ولكنه أخطأ او توهم في تعيين هذا الموقع. وانني بهذه الدراسة قد اجتهدت في تحديد موقع هذه المدرسة وما اجتهادي الا رؤية موضــوعية ترتكز الى بعض الاســتدلالات والمســتندات منها المادية ومنها التاريخية. ولعل مفتاح توصــلي الى ذلك واساسه هو الحكم الموضوعي الذي كان قد سجله الدكتور جابر خليل في خاتمة دراســته الاثرية عن الموقع الاثري الذي خلصت في دراســتي الى انه لا يعدو الا ان يكون هو موقع المدرســة. اذ انه قد سجل ما خلاصته: (ان موقع تل محيسن لا يعدو الا ان يكون مدرســة وتفاصــيله ذات شــبه في بعض الشيء بالاربعين). وهذا الحكم انما أعده اساس إطلاق رؤيتي، واما الشيء الاخر الذي جاء ليدعم هذه الرؤية فهو ان المكان يحتضن ضريح يسميه الاهلون قبر المنصــور وهو في معتقدهم الشــعبي قبر مبارك يزار من قبلهم وان المطالع لتراجم البيت الذي رعى المدرســة الهمامية وادار ها سيجد ان أحد ابناءه وممن كانوا قد تولوها؛ اسمه المنصور وهو ابن راعيها عيسى بن مودود، وان مؤسسها يعد عم والده.

موجز تاريخي
عن بلدة قيام المدرسة

تعـد مدينـة تكريـت التاريخيـة العتيقـة، بلـدة دجلويـة ضـاربة الجـذور في السـفر الحضـاري لمدنيـة بـلاد الرافـدين. حيـث أنها تمتد في وجودها الحضري إلى عصور دويلات المدن.

ثابتـة في موقعهـا عـلى الضـفة الغربيـة لنهـر دجلـة الخالـد، في موضـع وسـط مـن أرض العـراق، تقطـع الطريـق الـرئيس الموصـل بـين بغـداد والموصـل، فتبعـد عـن بغـداد بنحـو ١٦٥ كـم شـمالا، وتبعـد عـن الموصـل بنحـو ٢٤٠ كـم جنوبـا، وهي إلى بغـداد أقـرب منهـا إلى الموصـل، وموضـعها مخـدد بعـض الشيء، تتخلله أودية وتلاع وتحيط فيه بعض الشعاب.

وهي اليـوم المركـز الإداري لمحافظـة (صـلاح الـدين)، إحـدى محافظـات الوسـط الجغـرافي والمنطقـة شـبه المتموجـة لجمهوريـة العـراق العربيـة الإسـلامية. كمـا وهي اليـوم القصـبة العصريـة الأصـيلة النهضـة ذات الحـس المسـتقبلي والبصـمة التاريخيـة. وقبـل هـذا وذاك كـان قـد عـرف سـفرها المـدني، عددا من الصفات الإدارية الحضرية والعناوين المدنية.

كمـا وتعـد مـن المـدن غـير المعـروف فجـر مـدنيتها، فـلا أحـد الى اليـوم قـد اسـتطاع تحديـد مبتـدأ قيامهـا المـدني، كونهـا مـرت في أدوار حضـارية وتاريخيـة موغلـة في القـدم، ومتنوعـة في الحـال، لعـل أهمهـا أدوار العصـور الحجريـة الـتي هي مـن عصـور مـا قبـل التـاريخ. بيـد انـه قـد جـاء القـول عنهـا كونهـا رابـع مدينـة بنيـت بعـد الطوفـان[١] وكونهـا تقلبـت عليهـا الأيـادي، وأن آثـار المبـاني الـتي شـيدت فيهـا وبنـاء الهياكـل والمسـارح والميـادين والحمامـات المطمـورة اليـوم بـالتلال.

---

[١]. المقصود به طوفان نبي الله نوح عليه السلام والذي حصل في مبتدأ الألف الثالث قبل الميلاد.

والأطـلال الشاخصـة الجميلـة الشـأن والعمـران انمـا تنطـق بعظـم بناتهـا كمـا وتشـهد عـلى ثـروة أصـحابها ورقي وتـنعم حيـاتهم الـتي كانـت في زمـن آثـل. نعـم أنهـا كانـت وكانـت إبـان العهـود الحضـارية المتقدمـة للأكـديين ثـم للآشـوريين فالبـابليين فـالآراميين المتقـدمين ثـم السريـان فـالعرب الاولـين مستوطنا مدنيا معروفا بذات اسمها اليوم: (تكريتا -أين).[٢]

أمـا عـن معـنى اسـمها: (تكريـت) وسـبب تسـميتها بـه، فقـد اختلـف فيـه المؤرخـون. مما يعـني أن لهـذا الاسـم بعـدا مـوغلا جـدا في التـاريخ. وأن معنـاه الـذي ينطـوي عليـه مـازال يحتـاج إلى عمـق نظـر مـن قبـل المختصـين في القـراءات القديمـة. فربمـا يكـون يعـني (الحصـن أو الثغـر) أو مـا يقـارب ذلـك مـن معـاني لهـا علاقـة بحصـن المدينـة الـذي يشـكل نواتهـا الاولى وهذا ما رجحته في مباحثي التي كتبتها حول تاريخها[٣].

أن تكريـت ظهـرت واشـتهرت بمسـتوى مدينـة منـذ فجـر العهـود الآشـورية والبابليـة كمـا يسـتدل مـن الأخبـار التاريخيـة. وكـان ذكرهـا يـأتي أحيانـا بـذكر قلعتهـا كدالـة عليهـا وأحيانـا بـذكرها كمدينـة دون قلعتهـا. وفي أحيـان أخـر يـأتي اسـمها المـدني الـذي رافـق سـفرها الطويـل مقرونـا مـع اسـمها القـلاعي الـدال عليهـا. ثـم تـوالى ذكرهـا أو ذكـر قلعتهـا في أخبـار الأزمنـة اللاحقـة المتعاقبـة سـواء كـان ذلـك ضـمن حوليـات الملـوك أو ضـمن الـرقم الطينيـة الإخباريـة الاقتصـادية أو الدينيـة أو العسـكرية (المسـمارية) للـدول الـتي قامـت في العـراق. أمـا إذا أردنـا تتبـع أخبارهـا في الكتابـات الكلاسـيكية القديمـة أو في مـدونات المستشرـقين المحـدثين مـن الـتي وثقـت أخبـار العـراق القـديم وأخبـار الجزيـرة الفراتيـة فأننـا سـوف نجـد تعزيـزا وتأكيـدا لكـل مـا ذكرنـا آنفـا. إذ يـذكر صـموئيل كريمـرز

---

[٢]. ينظر كتابنا: تاريخ تكريت في عصور ما قبل الإسلام.

[٣]. ينظر كتابنا السابق ذكره ص.

في تقريـــره ألاثـــري: أن العــــالم الجغـــرافي والفلـــكي اليونــــاني بطليمـــوس الــذي كــان حيــا في حــدود منتصــف القــرن الثــاني المــيلادي ذكــر تكريــت في جغرافيتــه الخاصــة بالمــدن القديمــة بالنســبة إلى عصريــه تحــت تســمية (برتــا-baritta). وأكــد هــذا الــذكر كــل الــذين ترجمــوا أعمــال بطليمــوس أو نقلــوا عنهــا ومــنهم البلــداني العــربي يــاقوت الحمــوي في كتابــه معجــم البلـــدان. كمـــا أن العـــالم والمـــؤرخ اليونـــاني إيمـــانوس مــاركيلينوس الــذي عــاش في القــرن الرابــع المــيلادي أطلــق في كتاباتــه عــلى مدينــة تكريــت اســم (فرتــة-virta) وأشــار إلى أنهــا مــن المــدن القديمــة بالنســبة إلى عهــده. ولقــد أشــارت إلى شيء مــن هــذا دائــرة المعــارف الإســلامية في مــادة تكريــت كمــا وذكــرت عنهــا أنهــا المدينــة الــتي ذاع صــيتها في زمــان الآشــوريين وهي تحمــل نفــس اســمها الحــالي مقرونــا باســم القلعــة (برتــة) أو (برتــا). وأن معــنى اســمها انمــا هــو اســم محــدث ينطــوي عــلى اســم لإحــدى القبائــل الــتي ســكنتها والــتي اشــتهرت بــ(ايتوءا) أو باســـم برتايـــا أي أهـــل القلعـــة وذكـــرت عنهـــا أنهـــا وردت في أطلـــس قـــديم باســـم (برثـــة-birta). وعنـــدما دخلـــت إلى تكريــت الديانــة المســيحية في القــرن المــيلادي الأول اكتســبت الهويـــة السريـــانية ورشـــحت لتكـــون محـــور الـــدعوة للأمـــر الســماوي المــذكور ثــم لتصــبح بــه في مطلــع القــرن الخــامس المــيلادي(٥٥٩مــيلادي) العاصــمة الدينيــة للسريــان الشرــقيين بعـــد أن آل أمـــر الجثلقـــة الشرـــقية إلى القـــديس مـــار أحودامـــة الــذي جــاء عنــه أنــه ينتســب لتكريــت. عــلى الــرغم مــن انــه عــدها مركــز دعوتــه التبشــيرية. وهكــذا رســخت أهميــة المدينــة تكريـــت في العـــام المـــذكور وبـــذل أهلهـــا جهـــودا في محاربـــة الهيمنــة الساســانية حــتى كــان مــن جــراء ذلــك أن حكــم الملــك كسرـى أنـوشروان عـلى خلـق مـن أهلهـا بـالموت. وبعـد أن سـقطت مدينـة الحضرـ كانـت قـد خلفتهـا تكريـت في دورهـا

المــدني وفي وظيفتهــا التجاريــة وفي أهميتهــا المكانيــة ممــا جعلهـا تشـتهر بسـمة (تجريـت) نسـبة للتجـارة كمـا جـاء يـزعم مشــاهير كتــاب الســريان. ولقــد كانــت تكريــت في الــدور الساســاني المنــوه عنــه آنفــا مــن المــدن المهمــة فقــد ذكــر يــاقوت الحمــوي نقــلا عــن العبــاس بــن يحــيى التكــريتي:(أن بعــض ملــوك الفــرس كــان قــد عمــر قلعتهــا (أي جــددها ورممهـا) فجعـل فيهـا مسـالح وربايـا وعيـون). ثـم عنـدما آلـت إلى الرومــان تأسســت فيهــا الهياكــل والمســارح والعمــد الضـخمة والمبـاني والعمـائر الباسـقة الـتي تشرـف عـلى دجلـة حـتى ضـاهت بعلبـك وديـار بكـر كمـا يـورد انسـتاس الكـرملي. وبعــد دورات لــدولاب ريــاح الإحــتلالات والتســلط الأجنــبي المختلفــة الأشــكال أمثــال الاحــتلال الســلوقي والفــرثي والساســاني ثــم الرومــاني مــن الــتي جثمــت عليهــا في فــترات مــا قبـل الإسـلام. وجعلـت مـن أرضـها ميـدانا داميـا للصرـاع فيمـا بينهــا. فتحــت تكريــت فتحــا إســلاميا فتنشــق ســكانها مــن العـرب ومـن معهـم مـن بقايـا الآراميـين أريـج الإسـلام الـزاكي في عهــد الخليفــة الفــاروق عمــر بــن الخطــاب رضي الله عنــه وبالتحديـد في ١حزيـران مـن عـام ١٦ هجـري[٤] ، عـلى يـد فرقـة مــن جــيش الفــتح العــربي الإســلامي للعــراق والجزيــرة قادهــا الصــحابي الجليـل عبـد الله بـن المعـتم العبسيـ تنفيـذا لأمـر الخليفــة الفــاروق القائــد رضي الله عنــه. وبــذلك أضــحت تكريـت قاعـدة لجيـوش الفـتح الإسـلامي المتجهـة مـن المـدائن نحــو شــمال العــراق ونحــو الشرــق، كمــا وأصــبحت مفتــاح الموصـل وشـمالها والجزيـرة الفراتيـة وشرقهـا، ثـم مـا فتـأت أن خلعــت عليهــا مؤسســة الخلافــة الراشــدة صــفة (كــورة) وهي مسـتوى بلـدي أعـلى مـن قريـة واقـل مـن مدينـة وباتـت تتبـع الموصـل. وفي عهـد الدولـة الأمويـة أضـحت مـن أعمـال ولايـة

[٤] . ينظر كتابنا: الفتح الإسلامي لمدينة تكريت.

إسلامية يحكمها عامل عربي أسوة بباقي الإعمال الأخرى وكانت كثيرة الموارد. والخراج يجمع منها ويرسل إلى مقر الخلافة في دمشق. كما وكانت مستقرا مناسبا وملاذا آمنا للمعتزلين أو المعزولين من الأمراء والحكام وذلك لتجاوزها الآثار النفسية التي كانت قد تركتها الحركات المصطرعة في النفسية الاسلامية. وفي العهد العباسي وهو عهد الإشراق الحضاري لدولة الإسلام الزاهرة بدت تكريت أوفر نصيبا من غيرها من المدائن في الاهتمام والأهمية في كافة النواحي الحضرية والمدنية وخاصة بعد أن أضحت سامراء حاضرة الدولة الإسلامية، إذ حكمها عدد من الأصحاب والمقربين لمؤسسة الخلافة كما والتزمها مباشرة عدد من الخلفاء العباسيين المتأخرين ومنهم الخليفة القائم بالله والخليفة الناصر لدين الله والخليفة المستنصر بالله فغصت بالخلق من شتى الأعراق والجهات وحفلت بالمساجد والمصانع الحرفية والأسواق والحمامات. واهتمت ببناء المدارس الفقهية والربط ودور الحديث ودور قراءة وتحفيظ القرآن الكريم [٥]. وكان لها دور وإسهام في ازدهار الحركة الفكرية الإسلامية بواسطة العديد من العلماء الذين أنجبتهم والذين نبغوا وبرعوا في فنون الفكر والمعرفة المختلفة ولقد تباهت بأسماء معينة من العلماء الأعلام من الذين أشارت إليهم المصادر والمراجع ولاسيما كتب التاريخ والتراجم والبلدان أمثال أبو النجيب عبد الرحمن ناظر المدرسة المستنصرية وعبد الله بن سويدة وأبو تمام كامل بن سالم وميسور بن محمد والقاضي تاج الدين يحيى بن القاسم وابن البديع وابن باقا وأبو شاكر الفقير. كما واعتزت ببعض المؤسسات الفكرية التعليمية كدار الحديث التي شيدت فيها والتي عدها المؤرخون المحدثون من أقدم دور

---

[٥] . ينظر كتابنا: المدارس التكريتية في عهود الدولة العربية الإسلامية

الحـــديث الشريـف. كونهـا سـبقت دار الحـــديث الكامليـــة في مصر[٦] . فضـلا عـن أنهـا عـدت إحـدى أهـم دور سـك النقـود والعمـــلات وأوثقهـــا في الدولـــة الإســـلامية، وان الـــدنانير الـــتي جـــاءت تحمـــل اســـمها صراحـــة (تكريـــت) مقرونـــا باســـم المتغلـب عليهـا مـن الـتي يحـتفظ فيهـا المتحـف العـراقي اليـوم لخـير دليـل عـلى ذلـك. كمـا وكانـت مـن أهـم مـدن صـناعة الفخاريـــات (البـــاربوتين) والزجاجيـــات الملونـــة والتحـــف الخشـبية المنقوشـة والموشّـاة والمينـا فضـلا عـن أنهـا كانـت المبتدعـة لفـن الـنقش عـلى الجـدران المعـروف اليـوم بـالنقش المغـــربي بيـــد أن الـــذي ســـوقه إلى المغـــرب إحـــدى الفـــرق المغربية التي استقدمها المعتصم واسكنها في تكريت حينا.

كـذلك عـدت في العصر المـذكور مـن ضـمن المنطقـة الغنيـة اقتصـاديا ذات الإيـرادات الـوفيرة الـتي تشـمل جبايـات خـراج الأرض وأعشـــار التجـــارة وكيـــف لا وهي الـــتي كانـــت تمتلـــك مجموعـة مـن الأنهـر والقنـوات لأمـور الـري والزراعـة فضـلا عـن أنهـا تقـع عـلى الحـد الشرـقي لمنطقـة ديميـة الإرواء ممـا جعـل الزراعـة تكـون الحرفـة الاولى لسـكانها ولـيس مـن دليـل عـــلى اتســـاع الزراعـــة فيهـــا أفضـــل مـــن قيمـــة الخـــراج المستحصـل منهـا إذ أنـه كـان كبـيرا جـدا إذا مـا قارنـاه بخـراج مـدن اخـرى في الدولـة ممـن تمـارس فيهـا حرفـة الزراعـة أيضـا. فلقـد بلـغ خـراج تكريـت عـام ٢٣٤هجـري ٧٠٠,٨٤٩ ألـف درهـم ثـم ازداد بعـد نيـف مـن السـنين ليضـحى ٩٠٠ ألـف درهـم. وان أشـهر المحاصـيل الـتي كانـت تنتجهـا تكريـت هي البطـيخ والسمسـم فضـلا عـن الحبـوب كـالقمح والشـعير. كـذلك أنهـا اشـتهرت أيضـا بتربيـة الماشـية الأغنـام الـذي هيـأ لهـا إنتـاج الأصـواف الجيـدة بـوفرة. أمـا الصـناعة فيهـا فكانـت تقـــوم عـــلى الإنتـــاج الـــزراعي بالدرجـــة الاولى وتـــرتبط بـــه

[٦] . ينظر الهامش السابق.

وبالإنتاج الحيواني إذ اشتهرت بصناعة غزل الصوف وكان صوفها من أفضل الأصواف في سوق الدولة العربية الإسلامية برمتها وهو يأتي في المرتبة الثالثة في الجودة بعد صوف مصر وصوف أرمينية كما جاء في بعض المصادر. وأما التجارة فيها فإن لموقعها الأرضي أثرا مهما وواضحا على أن تكون سوقا تجارية عامرة ومحطة لاستراحة القوافل البرية منها والنهرية التي تستخدم الارماث وهي الوسائل النهرية التي اشتهر أبناؤها بتسييرها في دجلة على مدار التاريخ. مما جعل وصفها في رحلة ابن جبير بأنها:(حفيلة الأسواق). ولقد ذكرها وأطنب في وصفها عدد كبير من المؤرخين والجغرافيين والبلدانيين كان منهم ابن جبير الذي قال فيها: (هي مدينة كبيرة واسعة الأرجاء، فسيحة الساحة، حفيلة الأسواق، كثيرة المساجد، غاصة بالخلق، أهلها أحسن أخلاقا وقسطا في الموازين.. ودجلة منها في جوفها ولها قلعة حصينة على الشط هي قصبتها المنيعة ويطيف بالبلد سور قد أثر الوهن فيه وهي من المدن العتيقة المذكورة). ومنهم أبو الفدا صاحب تقويم البلدان الذي قال عنها: (وتكريت آخر مدن الجزيرة مما يلي العراق وهي على غربي دجلة في بر الموصل وبينهما ستة أيام وقلعتها الآن خراب). وأيضا ابن حوقل صاحب صورة الأرض الذي قال فيها: (ومدينة تكريت على غربي دجلة .... مطلة على جبل عظيم شاهق وعلى ظهر هذا الجبل منها الموضع المعروف بالقلعة وكانت حصنا ذا مساكن ومحال يشملها سور حصين وهي قديمة أزلية لم تتغير أبنيتها وثاقة وجلدا وأبنيتهم بالجص والحجر والآجر والحصى). وكذلك ابن بطوطة صاحب تحفة النظار الذي قال فيها :(وهي مدينة كبيرة فسيحة الأرجاء مليحة الأسواق كثيرة الجوامع وأهلها موصوفين بحسن الأخلاق

والدجلـة مـن الجهـة الشـمالية منهـا ولهـا قلعـة حصـينة عـلى شـط الدجلـة والمدينـة عتيقـة البنـاء عليهـا سـور يطيـف بهـا). وأمـا يـاقوت الحمـوي صـاحب معجـم البلـدان فقـال عنهـا :(تكريـت بفـتح التـاء والعامـة يكسرـونها بلـدة مشـهورة بـين بغـداد والموصـل وهي إلى بغـداد أقـرب بينهـا وبـين بغـداد ثلاثـون فرسـخا ولهـا قلعـة حصـينة في طرفهـا الأعـلى راكبـة عـلى دجلـة وهي غـربي دجلـة وفي كتـاب الملحمـة المنسـوب إلى بطليمـوس مدينـة تكريـت طولهـا ثمـان وتسـعون درجـة وأربعـون دقيقـة وعرضـها سـبع وثلاثـون درجـة وثـلاث دقـائق). وأيضـا المقـدسي صـاحب كتـاب أحسـن التقاسـيم الـذي قـال عنهـا: (مدينـة كبـيرة معـدن السمسـم وصـناع الصـوف). وكـذلك ابـن عبـد الحـق صـاحب مراصـد الاطـلاع الـذي قـال عنهـا: (تكريـت بلـد مشـهور بـين بغـداد والموصـل في غـربي دجلـة ولهـا قلعـة حصـينة أحـد جوانبهـا إلى دجلـة) وشـمس الـدين الانصـارى صـاحب نخبـة الـدهر الـذي قـال عنهـا: (ومدينـة تكريـت وهي عـلى جبـل مطـل .... ولهـا نهـر). والبلـداني العبـاسي المجهـول الـذي يـؤول عـام ٣٧٢هجـري صـاحب كتـاب حـدود العـالم الـذي قـال عنهـا: (مدينـة عـلى الحـد مـا بـين الجزيـرة والعـراق، عـامرة، نزهـة ذات نعمـة). وحمـد الله المسـتوفي الـذي قـال عنهـا:(وتكريـت فيهـا سـور محيطـه سـتة آلاف خطـوة وأبراجـه مكينـة). وهكـذا الحـال مـع ابـن الفقيـه الهمـداني وابـن رسـته وابـن خرداذبـة والإصـطخري وابـن سرابيـون (سـهراب) والحمـيري وشـمس الـدين الأنصـاري والبكـري والعمـري وغـيرهم مـن الـذين ذكـروا أشـياء عـن أحوالهـا وموقعهـا في مـدوناتهم ومصـنفاتهم الإخباريـة او البلدانيـة. أمـا أخبـار الأعـلام مـن أبناءهـا وهـم كـثر فلقـد كـان لهـم حضـور واضـح جـلي في كتـب طبقـات الأعـلام والـتراجم والرجـال فمـثلا يقـول السـمعاني في كتـاب الأنسـاب

عــن أعــلام تكريــت: (خـــرج منهــا جماعـــة مـــن العلمـــاء والمحـدثين). وأمـا الحمـوي فيقـول في معجـم الأدبـاء: (ينسـب إليهـا مـن أهـل العلـم والروايـة جماعـة). ولقـد وسـمت تكريـت بصـفة أتابكيـة أو مسـتحفظة إي محافظـة في العهـد الأخـير لدولـة بـني العبـاس وبالتحديـد في عهـد تغلـب السـلاجقة عـلى إقليـم العـراق. وكـان لهـا في هـذا العهـد شـأن وأثـر كبـيرين. مثلـما كانـت لهـا حظـوة ومـأثرة بـالغتين بصـفة أنهـا كانـت معقـلا مـن المعاقـل السـلجوقية المهمـة والفاعلـة. ولعـل مـاتبقى مـن آثارهـا وتاريخهـا عـن هـذا العهـد لهـو دليـل واضـح عـلى ذلـك. ولقـد ظلـت تكريـت في كنـف الحكـم الإسـلامي مـدة طويلـة مـن الـزمن وقـد تـوافرت عليهـا أسـباب الحيـاة الرغيـدة ونعمـت في بحبوحـة مـن الرفـاه وأصـبحت قلعـة عربيـة إسـلامية لكـن الزمـان أدار لهـا ظهـره فطالتهـا يـد التقتيـل والتـدمير والتخريـب عـلى يـد المغـول بقيـادة الخـان هولاكـو البـاغي، ثـم عـلى يـد التتـار بقيـادة تيمورلنـك البـاغي. وأمسـت في فـترتي تسـلط المغـول والتتـار المتعـاقبتين بلـدة صـغيرة عـلى الـرغم مـن أنهـا كانـت ذات أهميـة مـن الناحيـة السـوقية بالنسـبة لمجابهـة الغـزاة إذ عـدت مدينـة متوسـطة لهـا حـاكم بدرجـة أمـير كمـا وعـدت إحـدى أهـم قواعـد المقاومـة العربيـة الإسـلامية ضـد وجـود هـؤلاء الغـزاة كـذلك عـدت معقـلا للثـوار ومـأوى للأحـرار. ولقـد تحـدث عـن أمـر تيمورلنـك مـع تكريـت العلامـة ابـن خلـدون في تاريخـه بقولـه: (وقـد كـان بعـدما اسـتولى تيمـور عـلى بغـداد زحـف بعسـاكره إلى تكريـت مـأوى المخـالفين وأنـاخ عليهـا بجموعـه أربعـين يومـا فحاصرهـا حـتى نزلـوا عـلى حكمـه وقتـل مـا قتـل مـنهم ثـم خربهـا واقفرهـا وانتشرـت عسـاكره في ديـار بكـر إلى الرهـا). أمـا صـاحب كتـاب عجائـب المقـدور في أخبـار تيمـور فكتـب عنهـا يقـول: (أن تيمـور في أول هـذه السـنة ٧٩٥ سـار بنفسـه وعسـاكره إلى تكريـت

وحاصرهـا في بقيـة المحـرم كلـه ودخلهـا عنـوة في آخـر الشـهر فقتـل صـاحبها وبـنى مـن رؤوس القـتلى مئـذنتين وثـلاث قبـاب وخربـت البلـد حـتى صـارت نفـرة وأثخـن في قتـل الرجـال وأسر النسـاء والأطفـال). وعـلى هـذه الصـورة المؤسـفة عفـت تكريت بعد أن جالدت النوازل القاهرة لسنين وأحايين.

ثـم عـاودت النهـوض مـن جديـد في مبتـدأ فـترة حكـم العثمـانيين للعـراق فأصـبحت في العهـد العثمـاني الأول (سـنجق بـكي) أي محافظـة أو لـواء تتبـع ايالـة الرقـة ثـم ولايـة الموصـل شـأنها بـذلك شـأن أسـكي موصـل وكشـاف وباتـت يحكمهـا أمـير يحمـل لقـب بـك. كمـا وباتـت تتبـع لهـا المنطقـة الممتـدة مـن منطقـة سـميكة (الـدجيل) إلى منطقـة الفتحـة عنـد حمـرين كمـا وتعسـكر فيهـا قـوة مـن الجـيش العثمـاني بمسـتوى لـواء عـلى مـا يـذكر نيبـور في رحلتـه. وبقيـت تكريـت بدرجـة (لـواء) سـنجق خـلال الفـترة ١٥١٨م-١٨٧٢م[٧]وكانـت تتـأرجح في التبعيـة الإداريـة بـين ولايـات الرقـة فالموصـل وبغـداد فمـثلا أنهـا وفـق إحـدى الوثـائق الـتي تعـود للفـترة ١٥٦٣م-١٥٧٤م كانـت سـنجق يتبـع ولايـة الموصـل وحسـب سـالنامة عـام ١٨٤٩م كانـت سـنجق يتبـع ايالـة بغـداد. ثـم بعـد أن انـتهى الـدور غـير المبـاشر في الحكـم أي بعـد أن أعـاد مـدحت باشـا (١٨٦٩-١٨٧٢) تنظـيم الإدارة في العـراق وتأسـيس الحكـم المبـاشر فيـه اعيـد النظـر في مسـتوى تكريـت الإداري فألغيـت درجـة (سـنجق) الـتي كانـت تتمتـع بهـا. ورسـمت بدرجـة ناحيـة تابعـة لقضـاء سـامراء في (١٨٧٢) وبقيـت عـلى مسـتواها المـذكور حـتى نهايـة العهـد العثمـاني تـرتبط فيهـا عـدة قـرى منهـا إمـام دور (الـدور) ودجيـل (سـميكة) وبلـد وعوجـا (العوجـة) وكانـت في هـذه الفـترة

---

[٧]. علي، شاكر علي، الأوضاع الإدارية والأهمية العسكرية لتكريت في العهد العثماني، موسوعة مدينة تكريت، ج٥، دار الحرية، بغداد١٩٩٨، ص٢٠.

تمتلك جيش محلي باسم (عسكر تكريت). كما وكانت في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مقرا لنقيب أشراف الخمس بلدات والتي هي (سامراء وتكريت وبلد والدور وسميكة) بعد أن انتخب أحد ساداتها وهو احمد حمدي الناصري نقيبا لأشراف الخمس بلدات المذكورة أي صار نقيبا لأشراف الخمس. وأننا للأسف وبعد جهد في التحري الميداني لم نجد شيئا له أثر تاريخي يعكس الأدوار العثمانية فيها وخاصة في مجالات العمران سوى بناية سراي الحكومة وعددا من المساجد والخانات المقامة لسكنى المسافرين ومدرسة رسمية واحدة انشأت في عام ١٩١٣ م وفق ما جاء في كتاب تاريخ التعليم في العهد العثماني للدروبي. فضلا على مزار هو مزار الأربعين. ولعل السبب في ذلك هو أن العثمانيون لم يهتموا بتكريت ذلك لأنهم كانوا لا يعدونها في سياستهم ذات أهمية مدنية بالغة وذات حيوية. ولقد انتهى شوط العثمانيين في تكريت في عام ١٩١٧ إذ بعد إكمال القوات البريطانية احتلالها لمدينة بغداد ومن ثم احتلال سامراء تمكنت من احتلال تكريت في ٦ تشرين الثاني من عام ١٩١٧ بعد معركة خاسرة للعثمانيين حدث جراءها سقوط عدد من قذائف المدفعية البريطانية على بعض منازل تكريت وبقرب مسجد وأدت إلى استشهاد عددا من المواطنين. ولقد انتهت عملية احتلال تكريت بتحليق طائرات البريطانيين لاستطلاع الموقف النهائي في المكان. وعدت تكريت عشية الاحتلال البريطاني لها المكان الوحيد بين سامراء والموصل الذي من الممكن أن يطلق عليه اسم مدينة حسبما جاء في تقرير الاستخبارات البريطانية عن العراق. وكانت طيلة فترة عملية الاحتلال مقرا لقطعات من جيش الاحتلال البريطاني حيث أنهم عسكروا في ضاحيتها الشمالية والمكان الذي

عسكروا فيه يسمى اليوم الطوب خانة. وان تكريت منذ الاحتلال البريطاني لها وحتى عام١٩٥١م مرورا بقيام الحكم الوطني في عام ١٩٢١م كانت ناحية تتبع الى قضاء سامراء من لواء بغداد. وفي مطلع العقد الأخير من العهد الملكي وتحديدا في العام (١٩٥١م) أعيد النظر في مستوى تكريت الإداري فرسمت قضاءا تابعا للواء بغداد، بعد إن صدرت الإرادة الملكية المرقمة (٣٥٠) والمؤرخة في ١٩٥١/٦/١٣ والقاضية بإلغاء ناحية تكريت وإحداث قضاء باسم قضاء تكريت يتبع لواء بغداد كما أحدثت ناحية باسم ناحية بيجي تلحق بقضاء تكريت وفي عام ١٩٦٢ استحدثت ناحية اخرى باسم (العلم) لتلحق في قضاء تكريت واسمها المحلي (الخرجة)* ولقد جاء استحداثها بموجب المرسوم الجمهوري المرقم (١١٠) لسنة م١٩٦٢. وبذلك أصبح قضاء تكريت واحدا من سبعة أقضية تتبع الى لواء بغداد خلال النصف الأول من العقد السادس من القرن العشرين. وفي ٢٩ كانون الثاني من عام ١٩٧٦م وسمت تكريت مركزا لمحافظة سميت باسم القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي بحسب المرسوم الجمهوري رقم (٤١) لتكون المحافظة الثامنة عشرة. تتبعها عدة وحدات إدارية بمستوى أدنى لعل أبرزها: ناحية العلم(الخرجة) الوحدة الزراعية التي تقع في الضفة الشرقية للنهر والتي تحتوي مجموعة من التلال الأثرية والمواقع التاريخية كتل شلفحت وتل حليحل وتل أبو جاون وتل علوشة وتل السوك وتل الشوك وتل السيباط وتل الخزامية وتل الربيضة. ومنها أيضا قرية العوجة* التي تقع في جنوبها والتي ذكرت في السالنامات العثمانية، كذلك قرية عوينات ذات التراث المتجذر والتي تحتضن آكام أقدم المدارس فضلا على قرى أخرى تنطوي مواضعها على آثار ذات أدوار مهمة.

المصادر والمراجع

١. مجمع الآداب في معجم الألقاب. ابن الفوطي. تحقيق مصطفى جواد. دمشق١٩٦٣م
٢. وفيات الأعيان. ابن خلكان. تقديم محمد المرعشلي. بيروت دار إحياء التراث٢٠٠٩م
٣. التكملة لوفيات النقلة. زكي الدين المنذري. تحقيق د. بشار عواد. مؤسسة الرسالة
٤. ذيل تاريخ مدينة السلام. للحافظ ابن الدبيثي. تحقيق بشار عواد. دار الغرب.٢٠٠٦م
٥. تنقيبات الموسم الأول في تل محيسن، الدكتور جابر خليل. مجلة سومر –المجلد ٣٦ لسنة ١٩٨٠م بغداد المؤسسة العامة للآثار العراقية.
٦. الحديث والمحدثون في تكريت. الدكتور محيي هلال السرحان. موسوعة مدينة تكريت، جزء الثالث_١٩٩٧م.
٧. الفقه والفقهاء في تكريت. الدكتور محيي هلال السرحان. موسوعة مدينة تكريت، جزء الثالث، بغداد_١٩٩٧م.
٨. القضاء والقضاة في تكريت، دكتور محيي هلال السرحان، موسوعة مدينة تكريت، الجزء الثالث، دار الحرية بغداد-١٩٩٧م.
٩. قاضيان من تكريت، الدكتور محمد قاسم مصطفى، موسوعة مدينة تكريت، جزء الثالث، بغداد_١٩٩٧م.

١٠. عيـون الأنبـاء في طبقـات الأطبـاء. موفـق الـدين ابـن أبي اصـيبعة. ضـبطه محمـد باسـل عيـون السـود. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٩٨م

١١. التعريـــف بالمـــدارس التكريتيـــة. إبـــراهيم الناصري. عمان ٢٠١٧م

١٢. دليـل خارطـة تكريـت الأثريـة. إبـراهيم النـاصري. القاهرة.٢٠١٦م

١٣. الكشـاف الأثـري في العـراق. الـدكتور قحطـان رشـيد. منشـورات المؤسسـة العامـة للآثـار والـتراث – العراق، بغداد ١٩٨٧م

١٤. المـدارس في العـراق. الـدكتور بشـار عـواد. موسوعة حضارة العراق. جزء ٨

١٥. المـؤرخ يحـيى التكـريتي. الـدكتور بـدري محمـد فهـد، بحـث قـدم في نـدوة تكريـت الـتي عقـدت في جامعة تكريت في عام ١٩٩٠م.

١٦. علمـاء النظاميـات ومـدارس المشرـق الإسـلامي. ناجي معروف، بغداد ١٩٧٣م.

(سيرة ذاتية)

إبراهيم فاضل الناصري

مواليد: تكريت في سنة١٩٦٤م

الكتب المطبوعة والمنشورة

١. تكريت الخالدة عبر العصور. (بالاشتراك) بغداد، ١٩٨٦م.

٢. الإبانة والتبيين في مرقد ابن جندب ومزار الأربعين. بغداد ١٩٩٧م.

٣. معركة تحرير تكريت عام ١٦هجري. بغداد ١٩٨٨م.

٤. صلاح الدين ومعارك الطريق إلى القدس.١٩٩٠. بغداد.

٥. مدن صلاح الدين سفر تالد وأثر خالد. بغداد.٢٠٠٩م.

٦. تاريخ تكريت في عصور ما قبل الإسلام. دمشق،٢٠١٢م.

٧. الفتح الإسلامي لمدينة تكريت. دمشق، ٢٠١١م.

٨. موسوعة التراث الثقافي لمدن محافظة صلاح الدين (بالاشتراك). دمشق. ٢٠١١.

٩. دليل خارطة تكريت الأثرية، بغداد،٢٠١٢/ والقاهرة،٢٠١٤م

١١. أعلام الصحافة والإعلام من التكريتيين خلال القرن العشرين. القاهرة.٢٠١٦م

١٢. جمهرة المؤرخين من مدن صلاح الدين. دمشق.٢٠١٢م.

١٣. آرام تكريت. دار المشرق. دهوك. ٢٠١٣م.

١٤. المنصورة داحرة الصليبيين وحاضرة آخر سلاطين الأيوبيين. المنصورة ٢٠١٤م.

١٥. ترانيم لموطن القرقاش الأثير - مجموعة شعرية. القاهرة.٢٠١٦

١٦. جمهرة المؤرخين من مدن صلاح الدين. دار أمجد - عمان ،٢٠١٦م

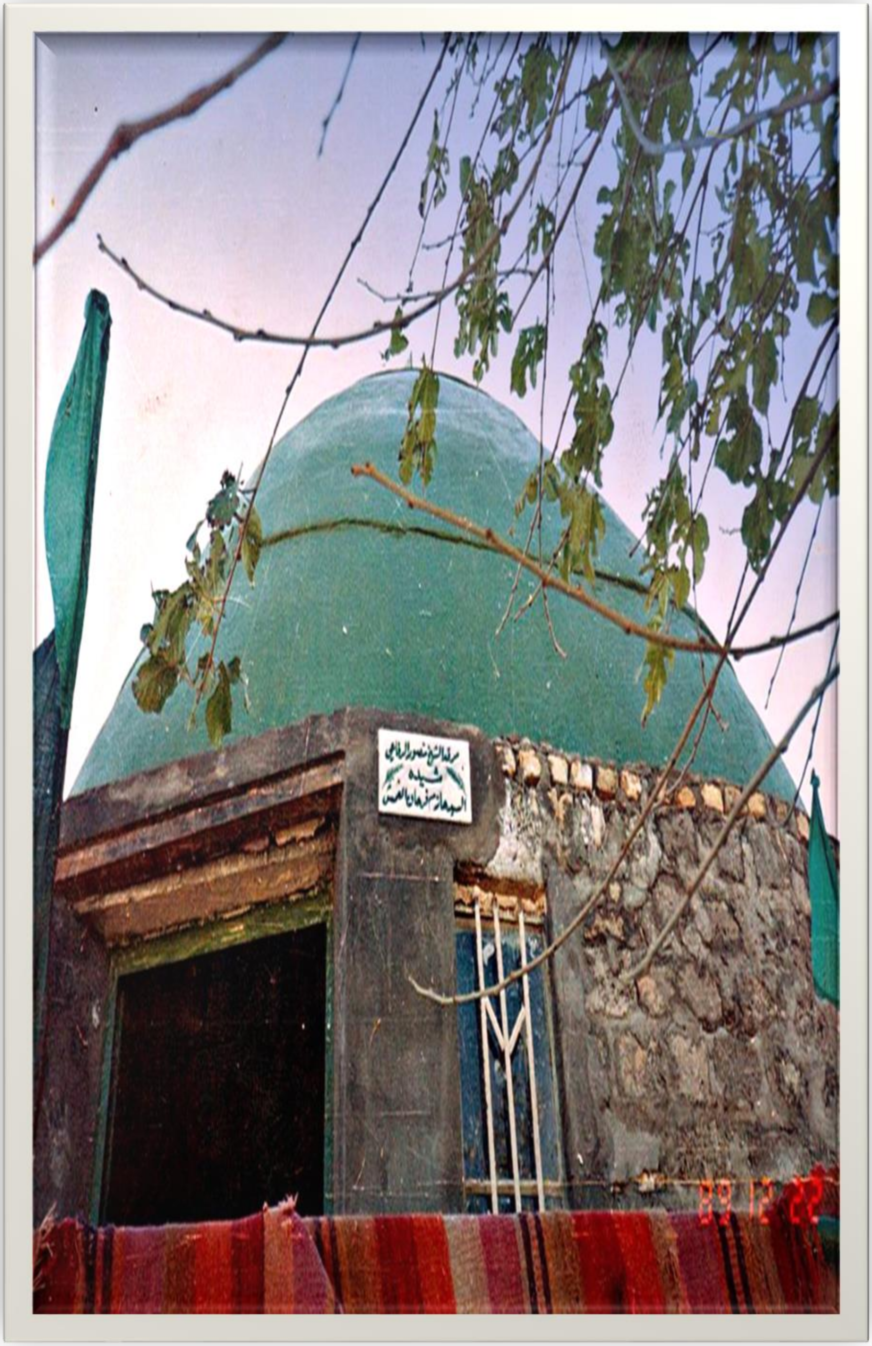
١٧. مدن صلاح الدين أخبار تالدة وآثار خالدة، عمان، ٢٠١٧م

١٨. مدن داثرة ومواقع دارسة في أواسط ما بين النهرين. مكتبة دجلة. عمان،٢٠١٧م

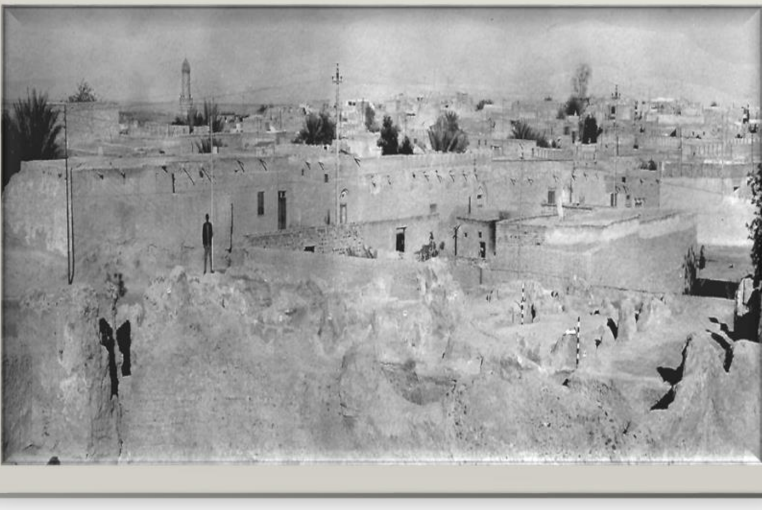
١٩. المدارس التكريتية في تاريخ الحضارة الإسلامية. دمشق،٢٠١٢م

٢٠. اعلام ورموز الصحافة والاعلام من التكريتيين خلال القرن العشرين. قسنطينة،٢٠١٨م

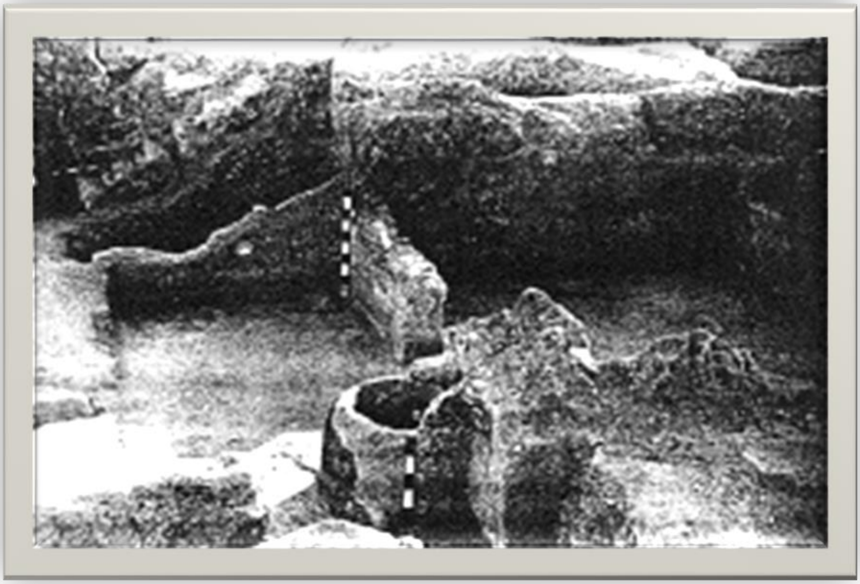


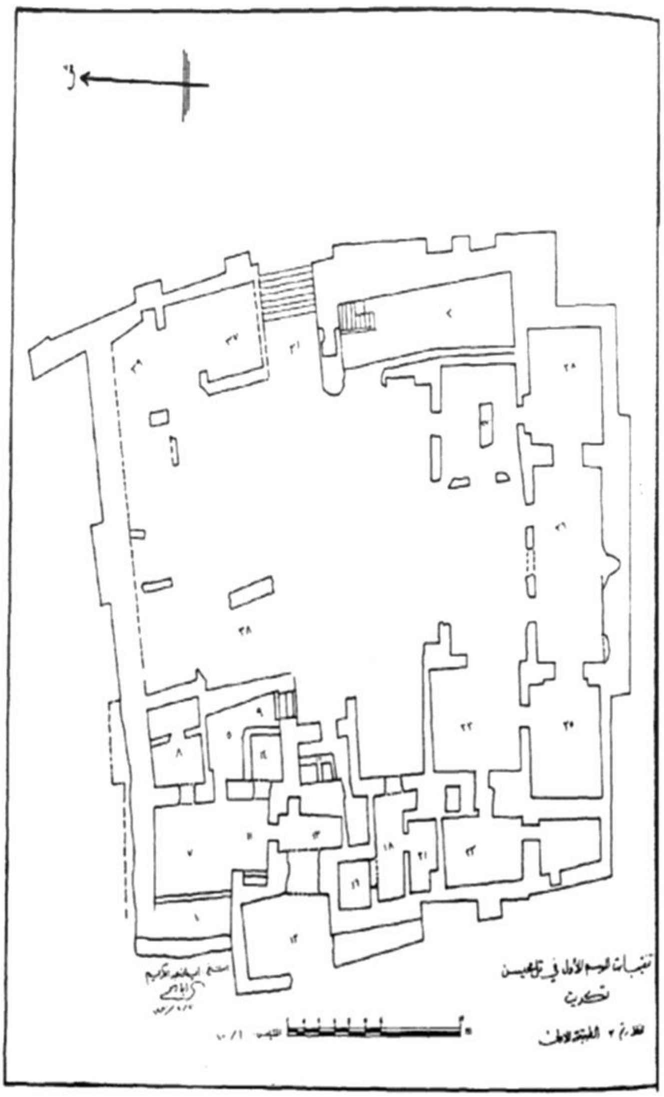

مرقد الشيخ منصور الرفاعي
شيده
89 12 22


تكريت
ناشيونال جيوغرافيك









تنقيبات الموسم الأول في
تكريت





المولف في سطـور ..



إبراهيم فاضل الناصري

مواليد تكريت / عام ١٩٦٤م

خريج كلية الاداب فرع الإعلام

عضو اتحاد المؤرخين العرب

عضو الاتحاد الدولي للمؤرخين

الكتب المطبوعة والمنشورة /

- تكريت الخالدة عبر العصور. (بالاشتراك) بغداد، ١٩٨٦م.
- الإبانة والتبيين في مرقد ابن جندب ومزار الأربعين. بغداد ١٩٩٧م.
- معركة تحرير تكريت عام ١٦هجري. بغداد ١٩٨٨م.
- صلاح الدين ومعارك الطريق إلى القدس.١٩٩٠. بغداد.
- مدن صلاح الدين سفر تالد وأثر خالد. ط- بغداد.٢٠٠٩م/ ط - عمان ٢٠١٧
- تاريخ تكريت في عصور ما قبل الإسلام. دمشق،٢٠١٢م.
- الفتح الإسلامي لمدينة تكريت. دمشق، ٢٠١١م.
- موسوعة التراث الثقافي لمدن محافظة صلاح الدين (بالاشتراك). دمشق. ٢٠١١.
- دليل خارطة تكريت الأثرية. بغداد-٢٠١٢/ القاهرة-٢٠١٤
- المدارس التكريتية في تاريخ الحضارة الإسلامية. دمشق٢٠١٢م.
- أعلام الصحافة والإعلام من التكريتيين خلال القرن العشرين. القاهرة.٢٠١٦م
- جمهرة المؤرخين من مدن صلاح الدين.ط - دمشق.٢٠١٢م /ط - عمان ٢٠١٦م
- آرام تكريت. دار المشرق. دهوك. ٢٠١٣م.
- المنصورة داحرة الصليبيين وحاضرة آخر سلاطين الأيوبيين. المنصورة ٢٠١٤م.
- ترانيم لموطن القرقاش الأثير – مجموعة شعرية. القاهرة.٢٠١٦
- التعريف بالمدارس التكريتية في التراث العلمي لمدن عراقية وعربية. عمان،٢٠١٧
- مدائن دائرة ومواقع دارسة في اواسط بلاد مابين النهرين . بغداد ٢٠١٧